تفسير سورة الحجر –و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ
مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ
أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ
﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا
نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا
يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ
فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾

تفسير سورة الحجر –و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ
مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾
وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾

مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى معظما لكتابه مادحا له

(الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ)

أي: الآيات الدالة على أحسن المعاني و أفضل المطالب،

(وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ)

للحقائق بأحسن لفظ و أوضحه و أدله على المقصود،

و هذا مما يوجب على الخلق الانقياد إليه،

و التسليم لحكمه و تلقيه بالقبول و الفرح و السرور.

(رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ)

***الميسر:سيتمنى الكفار حين يرون خروج عصاة المؤمنين من النار أن لو كانوا موحدين؛ ليخرجوا كما خرجوا.**

○فأما من قابل هذه النعمة العظيمة بردها و الكفر بها

فإنه من المكذبين الضالين، الذين سيأتي عليهم وقت يتمنون أنهم:-

مسلمون، أي: منقادون لأحكامه

و ذلك حين ينكشف الغطاء و تظهر أوائل الآخرة و مقدمات الموت،

فإنهم في أحوال الآخرة كلها يتمنون أنهم مسلمون،

و قد فات وقت الإمكان، و لكنهم في هذه الدنيا مغترون.

*****هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:-**

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الْأَنْعَامِ: 27]

فـــــ(ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ)

❍بلذاتهم

***تَهْدِيدٌ لَهُمْ شَدِيدٌ، وَ وَعِيدٌ أَكِيدٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [إِبْرَاهِيمَ: 30]

(وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ)

أي: يؤملون البقاء في الدنيا فيلهيهم عن الآخرة،

(فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ)

أن ما هم عليه باطل و أن أعمالهم ذهبت خسرانا عليهم

و لا يغتروا بإمهال الله تعالى فإن هذه سنته في الأمم.

(وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ)

كانت مستحقة للعذاب

(إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ)

مقدر لإهلاكها.

(مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ)

و إلا فالذنوب لا بد من وقوع أثرها و إن تأخر.

وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾
إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾

أي: و قال المكذبون لمحمد ﷺ استهزاء و سخرية:

(وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ)

على زعمك

(إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ)

إذ تظن أنا سنتبعك و نترك ما وجدنا عليه آباءنا لمجرد قولك.

(لَّوۡ)

***هلا

(مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ)

يشهدون لك بصحة ما جئت به

*** كما قال فرعون: {فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} [الزُّخْرُفِ: 53]

{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا} [الفلاقان: 21، 22]

(إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ)

فلما لم تأت بالملائكة فلست بصادق،

و هذا من أعظم الظلم و الجهل.

أما الظلم:–

فظاهر فإن هذا تجرؤ على الله و تعنت بتعيين الآيات التي لم يخترها و حصل المقصود و البرهان بدونها من الآيات الكثيرة الدالة على صحة ما جاء به،

و أما الجهل:–

فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرتهم

(مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ)

***الميسر: بالعذاب**

❍فليس في إنزال الملائكة، خير لهم بل لا ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه و ينقد له.

(وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا)

أي: حين تنزل الملائكة، إن لم يؤمنوا، و لن يؤمنوا بـــــــ(مُّنظَرِينَ)

أي: بمهملين،

فصار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلا لأنفسهم بالهلاك و الدمار،

فإن الإيمان ليس في أيديهم و إنما هو بيد الله،

(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)

و يكفيهم من الآيات إن كانوا صادقين،

هذا القرآن العظيم

و لهذا قال هنا: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ)

أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل و الدلائل الواضحة،

و فيه يتذكر من أراد التذكر،

(وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

أي: في حال إنزاله و بعد إنزاله،

ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم،

و بعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله،

و استودعه فيها ثم في قلوب أمته،

و حفظ الله ألفاظه من التغيير فيها و الزيادة و النقص، و معانيه من التبديل،

فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا و قيض الله له من يبين الحق المبين،

و هذا من أعظم آيات الله و نعمه على عباده المؤمنين،

و مـــــن حفظـــــه :-

1-أن الله يحفظ أهله من أعدائهم،

2-و لا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم.

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾
لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون:

لم يزل هذا دأب الأمم الخالية و القرون الماضية:

(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ)

أي: فرقهم و جماعتهم رسلا.

(وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ)

يدعوهم إلى الحق و الهدى

(إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)

(كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ)

أي: ندخل التكذيب

*****الشرك**

(فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ)

أي: الذين وصفهم لظلم و البهت

عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر و التكذيب،

تشابهت معاملتهم لأنبيائهم و رسلهم بالاستهزاء و السخرية و عدم الإيمان

و لهذا قال: (لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ)

أي: عادة الله فيهم بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله.

وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤

لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥

أي: و لو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا و كابروا

(وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ)

فصاروا يعرجون فيه، و يشاهدونه عيانا بأنفسهم

لقالوا من ظلمهم و عنادهم منكرين لهذه الآية: (إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا)

أي: أصابها سكر و غشاوة حتى رأينا ما لم نر،

*** قَالَ مُجَاهِدٌ وَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَ الضَّحَّاكُ: سُدَّتْ أَبْصَارُنَا.

وَ قَالَ قَتَادَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أُخِذَتْ أَبْصَارُنَا.

وَ قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: شُبه عَلَيْنَا، وَ إِنَّمَا سُحِرْنَا.

وَ قَالَ الْكَلْبِيُّ: عَميت أَبْصَارُنَا.

وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: {سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا} السَّكْرَانُ الَّذِي لَا يعقل.

(بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ)

أي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر،

و قوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار،

فإنهم لا مطمع فيهم و لا رجاء،

ثم ذكر الآيات الدالات على ما جاءت به الرسل من الحق فقال:

الاعجاز العلمي:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) [الحجر: 14].

الرابط

إن حلم الإنسان في الخروج خارج الأرض لم يبدأ بالتحقق إلا في نهاية القرن العشرين عندما بدأت رحلة البحث العلمي،

وبدأ آلاف العلماء في مشارق الأرض ومغاربها بكتابة أبحاثهم وإجراء تجاربهم حول آلية الخروج من الأرض،

وما هي الخطوات التي يجب سلوكها لتحقيق ذلك.

ولو سألنا العلماء المختصين بإطلاق المراكب الفضائية وتصميمها عن أهم شيء يصادفهم حتى تكون الرحلة ناجحة فسيجيبون بأمرين:

أولاهما أن خروج المركبة الفضائية من نطاق جاذبية الأرض يجب أن يتم من أبواب أو منافذ محددة للغلاف الجوي.

و الأمر الثاني هو أن حركة المركبة في الفضاء يجب أن تكون حركة منحنية تعرجيه و ليست مستقيمة.

ولكن لماذا هذين الاعتبارين؟

إن الغلاف الجوي مُحَاط بحقول جاذبية و مغنطيسية وإذا لم يتم إطلاق المركبة من نقطة محددة فسوف تنحرف عن مسارها بفعل هذه الحقول وتفشل الرحلة.

لذلك يقوم العلماء بدراسة النقاط المحددة للغلاف الجوي والتي يمكن أن تنطلق منها المركبة الفضائية.

ولكن ما هو شكل الطريق الذي تسلكه هذه المركبة؟
بالطبع هو طريق متعرج والسبب في ذلك لتحاشي حقول الجاذبية التي تمارسها الشمس والقمر وبقية كواكب المجموعة.
فحركة المركبة الفضائية في الفضاء حساسة جداً لدرجة أن العلماء قد يضطرون لتغيير مسار المركبة وإطالة طريقها ملايين الكيلومترات تحاشياً لحقل جاذبية ما، أو للاستفادة من حقل آخر في تحريك المركبة.
ثم إن منافذ الغلاف الجوي ليست دائماً مفتوحة،
بل تتغير مع حركة دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس،
وكأنها بوابات تُفتح وتُغلق.
<u>ومن الأشياء العجيبة التي حدثنا عنها القرآن في آية واحدة هذين الأمرين:</u>
ـ أبواب الغلاف الجوي (أبواب السماء).
ـ الحركة التعرجية في الفضاء.



لقد قام العلماء باكتشاف أسرار الخروج خارج نطاق جاذبية الأرض ووجدوا أن الأرض محاطة بالمجالات الكهرطيسية ومجالات الجاذبية وهذه المجالات يمكن أن تحرف المركبة عن مسارها لذلك لابد أن يخرجوا من أماكن محددة أو "بوابات" محددة في الغلاف الجوي ليكون إطلاق الرحلة ناجحاً.

يقول عز وجل مخاطباً أولئك المشككين بصدق القرآن وصدق من أُنزل عليه القرآن: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: 14].

وهنا نلاحظ أن الآية تحدثت عن فتح باب من أبواب السماء،

و تحدثت عن حركة من يصعد من هذا الباب وهي حركة تعرجية (يعرجون).

وهنا يجب أن نقف عند هاتين المعجزتين في آية واحدة:

لو كان هذا القرآن من عند محمد ﷺ كيف استطاع معرفة أن للسماء أبواباً تُفتح وتغلق،

و أن الحركة في السماء هي حركة متعرجة؟
إذن الذي علم محمداً ﷺهو الله تعالى.
ولكن هؤلاء الكفار الجاحدين برسالة الله وآياته،
ماذا سيقولون لو أن هذا الأمر تحقق بخروجهم إلى السماء؟
إن الشيء الذي أخبرنا به رواد الفضاء الذين صعدوا إلى القمر أن أول ما يصادفهم عند تجاوزهم الغلاف الجوي هو الظلام الشديد الذي يظن معه المرء أن بصره قد توقف!
حتى إن الأطباء المشرفين على سلامة هؤلاء الروَّاد وجدوا بأن الإنسان عندما يتحرر من الجاذبية الأرضية يتعطل العصب البصري لديه بشكل مؤقت فلا يعود يرى شيئاً و كأن بصره قد أغلق.
هذا يحدث بسبب انعدام الجاذبية والذي يؤدي إلى خلل في الدورة الدموية و التفاعلات الحيوية في جسم الإنسان.
و سبحان الله العليم الحكيم!
يأتي البيان القرآني في الآية التالية ليخبرنا بتصوير فائق الدقة عن هذا الحدث المفاجئ لمن خرج من نطاق جاذبية الأرض، يقول تعالى:
(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ* لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) [الحجر:15].
و تأمل معي هذا النص الكريم الذي تضمن ثلاث معجزات علمية نعيد كتابتها:
1- ولو فتحنا عليهم باباً من السماء: حديث عن منافذ للغلاف الجوي.
2- فظلّوا فيه يعرجون: حديث عن الحركة المتعرجة.
3- لقالوا إنما سكّرت أبصارنا: حديث عن الظلام خارج الغلاف الجوي.

بالإضافة إلى أن هذا النص القرآني هو نبوءة بعصر الفضاء الذي نعيشه اليوم.

فقد حدَّد الآلية الهندسية لخروج الإنسان خارج نطاق جاذبية الأرض، وذلك قبل أن يكتشفها مهندسو الفضاء بألف وأربع مئة سنة! أليست هذه معجزة تستدعي النظر والتدبر؟

وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ
رَّجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا
فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ
بِرَٰزِقِينَ ٢٠ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ وَأَرۡسَلۡنَا
ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢ وَإِنَّا
لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا
ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٢٥ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ
مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٦ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي
خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ
لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠
إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١

وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ
رَّجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨
وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩

وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠

يقول تعالى – مبينا كمال اقتداره و رحمته بخلقه– :

(وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا)

أي: نجوما كالأبراج و الأعلام العظام يهتدى بها في ظلمات البر و البحر،

(وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ)

فإنه لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي و الهيئة العجيبة،

و هذا مما يدعو الناظــــــرين إلى:–

1–التـــــأمل فيها

2–و النظـــــر في معانيها

3–و الاستـــــدلال بها على باريها.

(وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ)

إذا استرق السمع أتبعته الشهب الثواقب فبقيت السماء

ظاهرها:–

مجملا بالنجوم النيرات

و باطنها :–

محروسا ممنوعا من الآفات.

(إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ)

أي:في بعض الأوقات قد يسترق بعض الشياطين السمع بخفية و اختلاس،

(فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ)

أي: بين منير يقتله أو يخبله.

فربما أدركه الشهاب قبل أن يوصلها الشيطان إلى وليه

فينقطع خبر السماء عن الأرض،

و ربما ألقاها إلى وليه قبل أن يدركه الشهاب فيضمُّها و يكذب معها مائة كذبة،

و يستدل بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

***صحيح البخاري

4701 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:

إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ،

كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ -

قَالَ عَلِيٌّ: وَ قَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ -

فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ،

قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ،

فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَ مُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ -

وَ وَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ،

وَ فَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ اليُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ -

فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ،

وَ رُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ،

حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الأَرْضِ -

وَ رُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الأَرْضِ -
فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ،
فَيُصَدَّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟
لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ "
*** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ»،
وَ زَادَ «وَ الكَاهِنِ»،
عن ابي هُرَيْرَةَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ»
وَ قَالَ: «عَلَى فَمِ السَّاحِرِ»( )

(وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا)

أي: و سعناها سعة يتمكن الآدميون و الحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها و التناول من أرزاقها و السكون في نواحيها.

(وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ)

(خضعانا) مصدر من خضع أي طاعة وانقيادا. (كالسلسلة على صفوان) لها صوت كصوت السلسلة على الحجر الأملس. (علي) بن عبد الله شيخ البخاري. (غيره) أي غير سفيان الذي روى عنه علي. (ينفذهم ذلك) ينفذ الله إلى الملائكة الأمر الذي قضاه وهذه الجملة زيادة غير سفيان. (فزع عن قلوبهم) زال عنها الخوف والفزع. (قالوا) أي سأل عامة الملائكة خاصتهم. (قالوا) أي الخاصة كجبريل وميكائيل عليهما السلام. (للذي قال) لأجل ما قضاه الله تعالى وقاله أو قالوا للذي سأل. (مسترقو السمع) وهم مردة الشياطين. (الساحر) المنجم. (وزاد. .) أي زاد في هذه الرواية لفظ الكاهن على الساحر فقال (على فم الساحر والكاهن). (قلت لسفيان) القائل هو علي بن عبد الله. (سفيان) هو ابن عيينة. (عمرو) بن دينار والقراءة المشهورة المتواترة {فزع} / سبأ 23 /. (وهي قراءتنا) قال العيني قال الكرماني كيف جازت القراءة إذا لم تكن مسموعة؟ قلت لعل مذهبه جواز القراءة بدون السماع إذا كان المعنى صحيحا]

أي: جبالا عظاما تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد و تثبتها أن تزول

(وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ)

***معلوم و منهم من يقول مقدر بقدر

أي: نافع متقوم يضطر إليه العباد و البلاد ما بين نخيل و أعناب و أصناف الأشجار و أنواع النبات.

(وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)

من الحرث و من الماشية و من أنواع المكاسب و الحرف.

(وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ)

أي: أنعمنا عليكم بعبيد و إماء و أنعام لنفعكم و مصالحكم و ليس عليكم رزقها، بل خولكم الله إياها و تكفل بأرزاقها.

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾

(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ)

أي: جميع الأرزاق و أصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله،

فخزائنها بيده يعطي من يشاء،

و يمنع من يشاء،

بحسب حكمته و رحمته الواسعة،

(وَمَا نُنَزِّلُهُ)

أي: المقدر من كل شيء من مطر وغيره،

(إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)

فلا يزيد على ما قدره الله و لا ينقص منه.

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾

(وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ)

و سخرنا الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما يلقح الذكر الأنثى،

(فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ)

فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد و مواشيهم و أرضهم،

و يبقى في الأرض مدخرا لحاجاتهم و ضروراتهم ما هو مقتضى قدرته و رحمته

*** أَنْزَلْنَاهُ لَكُمْ عَذْبًا يُمكنكم أَنْ تَشْرَبُوا مِنْهُ،

وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا. كَمَا يُنَبِّهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى فِي سُورَةِ "الْوَاقِعَةِ"،

وَ هُوَ قَوْلُهُ: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنزلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ} [الْوَاقِعَةِ: 68-70]

وَ فِي قَوْلِهِ: {هُوَ الَّذِى أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} [النَّمْلِ: 10]

(وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ)

أي: لا قدرة لكم على خزنه و ادخاره

و لكن الله يخزنه لكم و يسلكه ينابيع في الأرض رحمة بكم و إحسانا إليكم.

***وَ لَوْ شَاءَ تَعَالَى لَأَغَارَهُ وَ ذَهَبَ بِه،
وَ لَكِنْ مِنْ رَحْمَتِهِ أَنْزَلَهُ وَ جَعْله عَذْبًا،
وَ حَفِظَهُ فِي الْعُيُونِ وَ الْآبَارِ وَ الْأَنْهَارِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ.
لِيَبْقَى لَهُمْ فِي طُولِ السَّنَةِ، يَشْرَبُونَ وَ يَسْقُونَ أَنْعَامَهُمْ وَ زُرُوعَهُمْ وَ ثِمَارَهُمْ.

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

(وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ)

أي: هو وحده لا شريك له الذي يحيي الخلق من العدم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا و يميتهم لآجالهم التي قدرها

(وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ)

كقوله: { إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [مريم: 40]

و ليس ذلك بعزيز و لا ممتنع على الله

(وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ)

فإنه تعالى يعلم المستقدمين من الخلق و المستأخرين منهم و يعلم ما تنقص الأرض منهم و ما تفرق من أجزائهم،

*** الْمُسْتَقْدِمُونَ: كُلُّ مَنْ هَلَكَ مِنْ لَدُنْ آدمَ عليه السلام

وَ الْمُسْتَأْخِرُونَ: مَنْ هُوَ حَيٌّ وَ مَنْ سَيَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ)

و هو الذي قدرته لا يعجزها معجز فيعيد عباده خلقا جديدا و يحشرهم إليه.

(إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)

يضع الأشياء مواضعها، و ينزلها منازلها،

و يجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، و إن شرا فشر.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ

﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾

فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾.

يذكر تعالى نعمته وإحسانه على أبينا آدم عليه السلام و ما جرى من عدوه إبليس،

و في ضمن ذلك التحذير لنا من شره و فتنته

فقال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ)

أي آدم عليه السلام

(مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)

أي: من طين قد يبس بعد ما خمر حتى صار له صلصلة و صوت،

كصوت الفخار،

و الحمأ المسنون:

الطين المتغير لونه و ريحه من طول مكثه.

(وَٱلۡجَآنَّ)

و هو: أبو الجن أي: إبليس

(خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ)

خلق آدم

(مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ)

أي: من النار الشديدة الحرارة،

***وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مَن مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ} [الرَّحْمَنِ: 14-15]

فلما أراد الله خلق آدم قال للملائكة:

(وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ)

جسدا تاما

***الصَّلْصَالُ مِنْ حَمَأٍ: وَ هُوَ: الطِّينُ.
وَ الْمَسْنُونُ: الْأَمْلَسُ،
كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ
ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الخضراء.....تمشي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ
أَيْ: أَمْلَسَ صَقِيلٍ.
وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَ مُجَاهِدٍ، وَ الضَّحَّاكِ أَيْضًا:-

أَنَّ الْحَمَأَ الْمَسْنُونَ هُوَ الْمُنْتِنُ.
وَ قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْمَسْنُونِ هَاهُنَا: الْمَصْبُوبُ.

*** صحيح مسلم

(2996) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَ خُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَ خُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»( )

(سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ)

فامتثلوا أمر ربهم.

(فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)

تأكيد بعد تأكيد ليدل على أنه لم يتخلف منهم أحد،

و ذلك تعظيما لأمر الله و إكراما لآدم حيث علم ما لم يعلموا.

(إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ)

و هذه أول عداوته لآدم و ذريته.

(الجان) الجن (مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار[]

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن
صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ
يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ
يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ
عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ
وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ
سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ
عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾
وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن
صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ
يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾

إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾
إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾

(قَالَ) الله:

(يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ)

*** يَذْكُرُ تَعَالَى تَنْوِيهَهُ بِذِكْرِ آدَمَ فِي مَلَائِكَتِهِ قَبْلَ خَلْقِهِ لَهُ، وَ تَشْرِيفَهُ إِيَّاهُ بِأَمْرِهِ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ.
وَ يَذْكُرُ تَخَلُّفَ إِبْلِيسَ عَدُوِّهُ عَنِ السُّجُودِ لَهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ، حَسَدًا وَ كُفْرًا، وَ عِنَادًا وَ اسْتِكْبَارًا، وَ افْتِخَارًا بِالْبَاطِلِ،
وَ لِهَذَا قَالَ: {لَمْ أَكُنْ لأسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ}
كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الْأَعْرَافِ: 12]
وَ قَوْلُهُ: {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا} [الْإِسْرَاءِ: 62]
❍فاستكبر على أمر الله و أبدى العداوة لآدم و ذريته

و أعجب بعنصره و قال أنا خير من آدم .

(قَالَ)

الله معاقبا له على كفره و استكباره

***يَقُولُ آمِرًا لِإِبْلِيسَ أَمْرًا كَوْنِيًّا لَا يُخَالَفُ وَ لَا يُمَانَعُ، بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى،

(فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ)

أي مطرود مبعد من كل خير

*** أَيْ: مَرْجُومٌ.

(وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ)

أي الذم و العيب و البعد عن رحمة الله

*** وَ إِنَّهُ قَدْ أَتْبَعَهُ لَعْنَةً لَا تَزَالُ مُتَّصِلَةً بِهِ، لَاحِقَةً لَهُ، مُتَوَاتِرَةً عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ)

ففيها و ما أشبهها دليل على أنه سيستمر على كفره و بعده من الخير

***وَ إِنَّهُ لَمَّا تَحَقَّقَ الْغَضَبُ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ،
سَأَلَ مِنْ تَمَامِ حَسَدِهِ لِآدَمَ وَ ذُرِّيَّتِهِ النَّظِرَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَ هُوَ يَوْمُ الْبَعْثِ وَ أَنَّهُ أُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا لَهُ وَ إِمْهَالًا فَلَمَّا تَحَقَّقَ النَّظِرَةَ قَبَّحَهُ اللَّهُ:

(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ)

أي أمهلني

(إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ)

و ليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه

و إنما ذلك امتحان و ابتلاء من الله له

و للعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك

و لذلك حذرنا منه غاية التحذير و شرح لنا ما يريده منا

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي)

***أَقْسَمَ بِإِغْوَاءِ اللَّهِ لَهُ.

(لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ)

أي أزين لهم الدنيا و أدعوهم إلى إيثارها على الأخرى

حتى يكونوا منقادين لكل معصية

(وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)

أي أصدهم كلهم عن الصراط المستقيم

*** كَمَا أَغْوَيْتَنِي و قَدَّرْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ،

(إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)

أي الذين أخلصتهم و اجتبيتهم لإخلاصهم و إيمانهم و توكلهم

قال الله تعالى (قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ)

أي معتدل موصل إليَّ و إلى دار كرامتي

*** مَرْجِعُكُمْ كُلُّكُمْ إِلَيَّ، فَأُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ،وَ إِنَّ شَرًّا فَشَرٌّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الْفَجْرِ: 14]

***وَ قِيلَ: طَرِيقُ الْحَقِّ مَرْجِعُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَ إِلَيْهِ تَنْتَهِي.

*** كما قَالَ:{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}

[النَّحْلِ: 9]

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)

تميلهم به إلى ما تشاء من أنواع الضلالات بسبب عبوديتهم لربهم و انقيادهم لأوامره أعانهم الله و عصمهم من الشيطان

(إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ)

فرضي بولايتك و طاعتك بدلا من طاعة الرحمن

(مِنَ الْغَاوِينَ)

و الغاوي:-

ضد الراشد فهو الذي عرف الحق و تركه

و الضال:-

الذي تركه من غير علم منه به

(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ)

أي إبليس و جنوده

***جَهَنَّمُ مَوْعِدُ جَمِيعِ مَنِ اتَّبَعَ إِبْلِيسَ، كَمَا قَالَ عَنِ الْقُرْآنِ:

{وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} [هُودٍ: 17]

(لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ)

كل باب أسفل من الآخر

(لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ)

أي من أتباع إبليس

(جُزْءٌ مَّقْسُومٌ)

بحسب أعمالهم

***باب لليهود، وَ بَابٌ لِلنَّصَارَى، وَ بَابٌ لِلصَّابِئِينَ، وَ بَابٌ لِلْمَجُوسِ،
وَ بَابٌ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا –وَ هُمْ كُفَّارُ الْعَرَبِ –
وَ بَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ،
وَ بَابٌ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ،
فَأَهْلُ التَّوْحِيدِ يُرجى لَهُمْ وَ لَا يُرجى لِأُولَئِكَ أَبَدًا.
❍قال الله تعالى

(فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ)

و لما ذكر تعالى ما أعد لأعدائه أتباع إبليس من النكال و العذاب الشديد

ذكر ما أعد لأوليائه من الفضل العظيم و النعيم المقيم فقال

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي
صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا
بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾
وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ)

الذين اتقوا طاعة الشيطان و ما يدعوهم إليه من جميع الذنوب و العصيان

(فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ)

قد احتوت على جميع الأشجار و أينعت فيها جميع الثمار اللذيذة في جميع الأوقات.

و يقال لهم حال دخولها: (ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ)

من الموت و النوم و النصب، و اللغوب

و انقطاع شيء من النعيم الذي هم فيه أو نقصانه

و من المرض،و الحزن و الهم و سائر المكدرات،

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ)

فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل و حسد متصافية متحابة

(إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ) .

*** لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ.

❍دل ذلك على تزاورهم و اجتماعهم و حسن أدبهم فيما بينهم في كون كل منهم مقابلا للآخر لا مستدبرا له

متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش و اللؤلؤ و أنواع الجواهر.

*** صحيح البخاري

2440 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَ النَّارِ،
فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَ هُذِّبُوا،
أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ،
فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ
كَانَ فِي الدُّنْيَا، ( )

(لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ)

لا ظاهر و لا باطن،

و ذلك لأن الله ينشئهم نشأة و حياة كاملة لا تقبل شيئا من الآفات،

*** الْمَشَقَّةُ وَ الْأَذَى، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ:
"إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قصَب،
لَا صَخَبَ فِيهِ وَ لَا نَصَبَ" ( )

(حبسوا) أوقفوا. (بقنطرة) كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه. (فيتقاصون من القصاص والمعنى يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض. (نقوا وهذبوا) خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهذيب وهو التخليص. (أدل) أكثر دلالة وأعرف]

(وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ)

على سائر الأوقات.

***صحيح مسلم

(2837) عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا،

وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا،

وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا،

وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا "

فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

[الأعراف: 43]

❍و لما ذكر ما يوجب الرغبة و الرهبة من مفعولات الله من الجنة و النار

ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى فقال: (نَبِّئْ عِبَادِي)

أي: أخبرهم خبرا جازما مؤيدا بالأدلة، (أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته، و مغفرته

سَعَوا في الأسباب الموصلة لهم إلى رحمته

و أقلعوا عن الذنوب و تابوا منها، لينالوا مغفرته.

و مع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن و الإدلال

البخاري 3819

فنبئهم (وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ)

أي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله الذي لا يقادر قدره

و لا يبلغ كنهه نعوذ به من عذابه، فإنهم إذا عرفوا أنه

(لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ)

حذروا و أبعدوا عن كل سبب يوجب لهم العقاب،

فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائما بين الخوف و الرجاء، و الرغبة و الرهبة،

- فإذا نظر إلى رحمة ربه و مغفرته و جوده و إحسانه،

← أحدث له ذلك الرجاء و الرغبة،

- و إذا نظر إلى ذنوبه و تقصيره في حقوق ربه،

← أحدث له الخوف و الرهبة و الإقلاع عنها.

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: (وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ)

أي: عن تلك القصة العجيبة

فإن في قصك عليهم أنباء الرسل و ما جرى لهم ما

يوجب لهم العبرة و الاقتداء بهم، خصوصا إبراهيم الخليل عليه السلام

الذي أمرنا الله أن نتبع ملته،

و (ضَيْفِ)ــه هم الملائكة الكرام أكرمه الله بأن جعلهم أضيافه.

***وَ الضَّيْفُ: يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَ الْجَمْعِ، كَالزَّوْرِ و السُّفْر -

وَ كَيْفَ {دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ} أَيْ: خَائِفُونَ.

إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ
عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ
بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ
﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ
ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾
فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ
بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ
مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ
ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾
قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ
عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾
قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾
قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

(إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا)

أي: سلموا عليه فرد عليهم

(قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ)

أي: خائفون، لأنه لما دخلوا عليه و حسبهم ضيوفا ذهب مسرعا إلى بيته فأحضر لهم ضيافتهم، عجلا حنيذا فقدمه إليهم،

فلما رأى أيديهم لا تصل، إليه خاف منهم أن يكونوا لصوصا أو نحوهم.

فــــــ(قَالُوا۟) له:

(لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ)

و هو إسحاق ﷺ تضمنت هذه البشارة بأنه ذكر لا أنثى عليم

أي: كثير العلم،

و في الآية الأخرى (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)

فـ(قَالَ)

لهم متعجبا من هذه البشارة:

(أَبَشَّرْتُمُونِي) بالولد

(عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ)

و صار نوع إياس منه

(فَبِمَ تُبَشِّرُونَ)

أي: على أي وجه تبشرون و قد عُدِمَت الأسباب؟

(قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ)

الذي لا شك فيه لأن الله على كل شيء قدير،

و أنتم بالخصوص – يا أهل هذا البيت– رحمة الله و بركاته عليكم

فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم.

(فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ)

الذين يستبعدون وجود الخير،

بل لا تزال راجيا لفضل الله و إحسانه، و بره و امتنانه،

فأجابهم إبراهيم بقوله:

(قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ)

الذين لا علم لهم بربهم، و كمال اقتداره

○و أما من أنعم الله عليه بالهداية و العلم العظيم،

فلا سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب و الوسائل و الطرق

لرحمة الله شيئا كثيرا،

ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ

لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا

جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا
كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ
ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾
وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾
وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

أي: (قَالَ) الخليل عليه السلام للملائكة:

(فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ)

أي: ما شأنكم و لأي شيء أرسلتم؟

(قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ)

أي: كثر فسادهم و عظم شرهم، لنعذبهم و نعاقبهم

(إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ)

أي: إلا لوطا و أهله

(إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ)

أي: الباقين بالعذاب، و أما لوط فسنخرجه و أهله و ننجيهم منها،

○فجعل إبراهيم يجادل الرسل في إهلاكهم و يراجعهم،

فقيل له: { يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ } [هود: 76]

فذهبوا منه.

(فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ)

لهم لوط

(إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ)

أي لا أعرفكم و لا أدري من أنتم

(قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ)

أي جئناك بعذابهم الذي كانوا يشكون فيه و يكذبونك حين تعدهم به

(وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ)

الذي ليس بالهزل

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَا نُنزلُ الْمَلائِكَةَ إِلا بِالْحَقِّ} [الْحِجْرِ: 8]

(وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)

فيما قلنا لك

(فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ)

أي في أثنائه حين تنام العيون و لا يدري أحد عن مسراك

*** يَذْكُرُ تَعَالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ أَمَرُوهُ أَنْ يَسري بِأَهْلِهِ بَعْدَ مُضِيِّ جَانِبٍ مِنَ اللَّيْلِ،

(وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ)

***الميسر :و سر أنت وراءهم؛ لئلا يتخلف منهم أحد فيناله العذاب**

*** وَ هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي فِي الغَزاة بِمَا كَانَ يَكُونُ سَاقَةً، يُزجي الضَّعِيفَ، وَ يَحمِلُ الْمُنْقَطِعَ

*** سنن أبي داود

2639 - عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ فَيُزْجِي الضَّعِيفَ، وَ يُرْدِفُ وَ يَدْعُو لَهُمْ»

(وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ)

أي بادروا و أسرعوا

***الميسر:و احذروا أن يلتفت منكم أحد وراءه؛ لئلا يرى العذاب فيصيبه كذلك**

(وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ)

كأن معهم دليلا يدلهم إلى أين يتوجهون

(وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ)

أي أخبرناه خبرا لا مثنوية فيه

(أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ)

***الميسر:و أوحينا إلى لوط أن قومك مستأصَلون بالهلاك عن آخرهم عند طلوع الصبح.**

○أي سيصبحهم العذاب الذي يجتاحهم و يستأصلهم

***وقت الصبح

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} [هُودٍ: 81]

(وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ)

أي المدينة التي فيها قوم لوط

(يَسۡتَبۡشِرُونَ)

أي يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط و صباحة وجوههم و اقتدارهم عليهم و ذلك لقصدهم فعل الفاحشة فيهم

فجاءوا حتى وصلوا إلى بيت لوط

فجعلوا يعالجون لوطا على أضيافه و لوط يستعيذ منهم و يقول

(قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ)

فلا تفضحون في أضيافي، و تنتهكوا منهم الأمر الشنيع.

***الميسر:و هم في حمايتي**

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)

***الميسر: و خافوا عقاب الله، ولا تتعرضوا لهم،**

أي: راقبوا الله أول ذلك وإن كان ليس فيكم خوف من الله

(وَلَا تُخۡزُونِ)

فتوقعوني في الذل و الهوان بإيذائكم لضيوفي.

*** فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى نِسَائِهِمْ، وَ مَا خَلَقَ لَهُمْ رَبُّهُمْ مِنْهُنَّ مِنَ الْفُرُوجِ الْمُبَاحَةِ.

وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَيْضًا الْقَوْلُ فِي ذَلِك، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِه.

*** هَذَا كُلُّهُ وَ هُمْ غَافِلُونَ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ، وَ مَا قَدْ أَحَاطَ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ، وَ مَاذَا يُصبحهم مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَقِرِّ؛

***وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}

أَقْسَمَ تَعَالَى بِحَيَاةِ نَبِيِّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ،

وَ فِي هَذَا تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ، وَ مَقَامٌ رَفِيعٌ وَ جَاهٌ عَرِيضٌ.

***وَ قَالَ قَتَادَةُ: {فِى سَكْرَتِهِمْ}

أَيْ: فِي ضَلَالَتِهِمْ،

{يَعْمَهُونَ}

أَيْ: يَلْعَبُونَ.

***عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

{لَعَمْرُكَ} لَعَيْشُكَ،

{إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}

قَالَ: يَتَحَيَّرُونَ

❍فـــــــ(قَالُوٓاْ) له جوابا عن قوله و لا تخزون فقط:

(أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

أن تضيفهم فنحن قد أنذرناك، و من أنذر فقد أعذر.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾
وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ
كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ
يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا
كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ
لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا
مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا
تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾
كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾

فـــــــ(قَالَ)

لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه:

(هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ)

فلم يبالوا بقوله و لهذا قال الله لرسوله محمد ﷺ

(لَعَمْرُكَ)

***الميسر:يقسم الخالق بمن يشاء و بما يشاء،**

أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله،

و قد أقسم الله تعالى بحياة محمد ﷺتشريفًا له

(إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ)

***الميسر:إن قوم لوط في غفلة شديدة**

(يَعْمَهُونَ)

***الميسر:يترددون و يتمادون،**

❍و هذه السكرة هي سكرة محبة الفاحشة

التي لا يبالون معها بعذل و لا لوم.

فلما بينت له الرسل حالهم،

زال عن لوط ما كان يجده من الضيق و الكرب،

فامتثل أمر ربه و سرى بأهله ليلا فنجوا،

و أما أهل القرية (فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ)

أي: وقت شروق الشمس حين كانت العقوبة عليهم أشد،

*** الميسر:حتى حلّتْ بهم صاعقة العذاب وقت شروق الشمس.**

(فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا)

أي: قلبنا عليهم مدينتهم،

(وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ)

تتبع فيها من شذ من البلد منهم.

***الميسر:و أمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين.**

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ)

أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكر و روية و فراسة،

يفهمون بها ما أريد بذلك، من أن من تجرأ على معاصي الله،

خصوصا هذه الفاحشة العظيمة،

و أن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرأوا على أشنع السيئات.

(وَإِنَّهَا)

أي: مدينة قوم لوط

*****وَ إِنَّ قَرْيَةَ سَدُومَ الَّتِي أَصَابَهَا مَا أَصَابَهَا مِنَ الْقَلْبِ الصُّورِيِّ وَ الْمَعْنَوِيِّ، وَ الْقَذْفِ بِالْحِجَارَةِ،**

حَتَّى صَارَتْ بُحَيْرَةً مُنْتِنَةً خَبِيثَةً لَبِطَرِيقٍ مَهْيَع مَسَالِكُهُ مُسْتَمِرَّةً إِلَى الْيَوْمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [الصَّافَّاتِ: 137، 138]

(لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ)

للسالكين، يعرفه كل من تردد في تلك الديار

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ)

و في هذه القصة من العبـــــر:

1-عنايته تعالى بخليله إبراهيم،

فإن لوطا عليه السلام من أتباعه، و ممن آمن به فكأنه تلميذ له،

فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك،

أمر رسله أن يمروا على إبراهيم عليه السلام كي يبشروه بالولد و يخبروه بما بعثوا له،

حتى إنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه.

و كذلك لوط عليه السلام، لما كانوا أهل وطنه،

فربما أخذته الرقة عليهم و الرأفة بهم قدَّر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه

و حنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له:

(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)

2-أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم و طغيانهم،

فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه.

وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

(وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ)

و هؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله و أضافهم إلى الأيكة،

و هو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم،

و أنهم ما قاموا بها بل جاءهم نبيهم شعيب،

فدعاهم إلى التوحيد، و ترك ظلم الناس في المكاييل و الموازين،

و عاجلهم على ذلك على أشد المعالجة فاستمروا على ظلمهم في حق الخالق، و في حق الخلق، و لهذا وصفهم هنا بالظلم،

(فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ)

فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم.

(وَإِنَّهُمَا)

أي: ديار قوم لوط و أصحاب الأيكة

(لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ)

أي: لبطريق واضح يمر بهم المسافرون كل وقت،

فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار فيعتبر بذلك أولوا الألباب.

*****وَ لِهَذَا لَمَّا أَنْذَرَ شُعَيْبٌ قَوْمَهُ قَالَ فِي نِذَارَتِهِ إِيَّاهُمْ:**

{وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} **هود:89**

وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾
وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾
فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾

(وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)

يخبر تعالى عن أهل الحجر،

و هم قوم صالح الذين كانوا يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز

أنهم كذبوا المرسلين أي: كذبوا صالحا،

و من كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل،

لاتفاق دعوتهم، و ليس تكذيب بعضهم لشخصه

بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به،

(وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا)

الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق، التي من جملتها: –

تلك الناقة التي هي من آيات الله العظيمة.

(فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ)

كبرا و تجبرا على الله،

(وَكَانُواْ)

من كثرة إنعام الله عليهم

(يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ)

من المخاوف مطمئنين في ديارهم،

○فلو شكروا النعمة و صدقوا نبيهم صالحا عليه السلام لأدرَّ الله عليهم الأرزاق،

و لأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل و الآجل،

و لكنهم – لما كذبوا و عقروا الناقة، و عتوا عن أمر ربهم

و قالوا: (يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين)

***صحيح البخاري

433 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ،
فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ

(فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ)

○فتقطعت قلوبهم في أجوافهم و أصبحوا في دارهم جاثمين هلكى،

مع ما يتبع ذلك من الخزي و اللعنة المستمرة

***وَقْتَ الصَّبَاحِ مِنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ

(فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)

لأن أمر الله إذا جاء لا يرده كثرة جنود، و لا قوة أنصار و لا غزارة أموال.

وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ

فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

(وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ)

أي: ما خلقناهما عبثا و باطلا كما يظن ذلك أعداء الله،

بل ما خلقناهما

(إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ)

***بالعدل

***{لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}

[النَّجْمِ: 31]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص: 27]

وَ قَالَ {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [الْمُؤْمِنُونَ: 115-116]

○الذي منه أن يكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما، و اقتداره،

و سعة رحمته و حكمته، و علمه المحيط،

و أنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له،

(وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ)

لا ريب فيها لخلق السماوات و الأرض أكبر من خلق الناس

(فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ)

و هو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان،

و ذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر و الثواب،

فإن كل ما هو آت فهو قريب،

و قد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا.

و هو: أن المأمور به هو (ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ)

أي:–الحسن الذي قد سلم من الحقد و الأذية القولية و الفعلية،

دون الصفح الذي ليس بجميل، و هو الصفح في غير محله،

فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة،

كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، و هذا هو المعنى.

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ)

لكل مخلوق

(ٱلۡعَلِيمُ)

بكل شيء، فلا يعجزه أحد من جميع ما أحاط به علمه و جرى عليه خلقه،

و ذلك سائر الموجودات.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧

لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ

وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨

وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠

يقول تعالى ممتنًّا على رسوله ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾

و هن – على الصحيح– السور السبع الطوال:

« البقرة » و « آل عمران » و « النساء » و « المائدة » و « الأنعام »

و « الأعراف » و « الأنفال » مع « التوبة »

أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات،

فيكون عطف « وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ»

على ذلك من باب عطف العام على الخاص،

لكثرة ما في المثاني من التوحيد، و علوم الغيب، و الأحكام الجليلة، و تثنيتها فيها.

و على القول بأن « الفاتحة » هي السبع المثاني معناها:–

أنها سبع آيات، تثنى في كل ركعة،

و إذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني

كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون،

و أعظم ما فرح به المؤمنون،

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58]

و لذلك قال بعده: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾

أي: لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون،و اغترَّ بها الجاهلون

و استغن بما آتاك الله من المثاني و القرآن العظيم،

(((***عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ وَ الزَّهْرَةِ الْفَانِيَةِ)))

(وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ)

فإنهم لا خير فيهم يرجى، و لا نفع يرتقب،

فلك في المؤمنين عنهم أحسن البدل و أفضل العوض،

(وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ)

أي: ألن لهم جانبك، و حسِّن لهم خلقك، محبة و إكراما و تودُّدا،

*** {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 215]

كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التَّوْبَةِ: 128]

(وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ)

أي: قم بما عليك من النذارة و أداء الرسالة و التبليغ للقريب و البعيد و العدو و الصديق

فإنك إذا فعلت ذلك فليس عليك من حسابهم من شيء،

و ما من حسابك عليهم من شيء.

و قوله: (كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ)

أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به،

الساعين لصد الناس عن سبيل الله.

***الْمُتَحَالِفِينَ، أَيْ: تَحَالَفُوا عَلَى مُخَالَفَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ تَكْذِيبِهِمْ وَ أَذَاهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ قَوْمِ صَالِحٍ أَنَّهُمْ:

{قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} [النَّمْلِ: 46]

أَيْ: نَقْتُلُهُمْ لَيْلًا

قَالَ مُجَاهِدٌ: (تَقَاسَمُوا): تَحَالَفُوا.

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
﴿٩٣﴾ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ
﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سورة النحل- وهي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ
مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن
نُّطۡفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٌ وَمَنَٰفِعُ
وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾
عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

(ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ)

أي: أصنافا و أعضاء و أجزاء،

يصرفونه بحسب ما يهوونه،

فمنهم من يقول: سحر

و منهم من يقول: كهانة

و منهم من يقول: مفترى

إلى غير ذلك من أقوال الكفرة المكذبين به،

الذين جعلوا قدحهم فيه ليصدوا الناس عن الهدى.

(فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)

أي: جميع من قدح فيه و عابه وحرفه و بدله

(عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)

و في هذا أعظم ترهيب و زجر لهم عن الإقامة على ما كانوا عليه .

(فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)

*الميسر:فاجهر بدعوة الحق التي أمرك الله بها،

❍ثم أمر الله رسوله أن لا يبالي بهم و لا بغيرهم

و أن يصدع بما أمر الله و يعلن بذلك لكل أحد

و لا يعوقنه عن أمره عائق و لا تصده أقوال المتهوكين

(وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ)

أي: لا تبال بهم و اترك مشاتمتهم و مسابتهم مقبلا على شأنك،

(إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ)

بك و بما جئت به و هذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون،

و أن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة.

و قد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ

و بما جاء به إلا أهلكه الله و قتله شر قتلة.

ثم ذكر وصفهم و أنهم كما يؤذونك يا رسول الله،

فإنهم أيضا يؤذون الله و يجعلون معه

***بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ،

وَ لَا تَلْتَفِتْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ.

{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [الْقَلَمِ: 9] وَ لَا تخفْهم؛

فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ إِيَّاهُمْ، وَ حَافِظُكَ مِنْهُمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [الْمَائِدَةِ: 67]

(ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ)

و هو ربهم و خالقهم و مدبرهم

(فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ)

غب أفعالهم إذا وردوا القيامة،

(وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ)

لك من التكذيب و الاستهزاء، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب،

و التعجيل لهم بما يستحقون،

و لكن الله يمهلهم و لا يهملهم.

فأنت يا محمد

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ)

أي: أكثـــــر مـــــن:-

1-ذكـــــر الله

2-و تسبيحـــــه

3-و تحميـــــده

4-و الصـــــلاة

فإن ذلك يـــوسع الصدر و يشـــرحه و يعينـــك على أمورك .

*** سنن أبي داود

1289 - ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عمَّارٍ،

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: -

يَا ابْنَ آدَمَ، لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ، أَكْفِكَ آخِرَهُ "

*** صحيح مسلم

83 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ، إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ،

وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

(وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ)

أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه،

فلم يزل دائبا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه ﷺ تسليما كثيرا.

***وَ الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تعَالَى إِخْبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ أَنَّهُمْ قَالُوا:

{لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} [الْمُدَّثِّرِ: 43-47]

تم تفسير سورة الحجر

تفسير سورة النحل -و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢

يقول تعالى – مقربا لما وعد به محققا لوقوعه–

(أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ)

فإنه آت، وما هو آت، فإنه قريب،

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَ دُنُوِّهَا مُعَبِّرًا بِصِيغَةِ الْمَاضِي الدَّالِّ عَلَى التَّحَقُّقِ وَ الْوُقُوعِ لَا مَحَالَةَ كَمَا قَالَ تعَالَى:

{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 1]

وَ قَالَ: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [الْقَمَرِ: 1] .

(فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ)

***يُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى اللَّهِ،

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْعَذَابِ، وَ كِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}

[الْعَنْكَبُوتِ: 53، 54] .

(سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ)

من نسبة الشريك و الولد و الصاحبة و الكفء

و غير ذلك مما نسبه إليه المشركون مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله،

و لما نزه نفسه عما وصفه به أعداؤه ذكر الوحي الذي ينزله على أنبيائه،

مما يجب اتباعه في ذكر ما ينسب لله، من صفات الكمال فقال:

(يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ)

أي: بالوحي الذي به حياة الأرواح

(عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ)

ممن يعلمه صالحا، لتحمل رسالته.

و زبدة دعوة الرسل كلهم و مدارها على قوله:

(أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ)

أي: على معرفة الله تعالى و توحده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية و عبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه و أرسل رسله، و جعل الشرائع كلها تدعو إليها، و تحث و تجاهد من حاربها و قام بضدها، ثم ذكر الأدلة و البراهين على ذلك فقال:

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤
وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥
وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦

هذه السورة تسمى سورة النعم،

فإن الله ذكر في أولها أصول النعم و قواعدها،

و في آخرها متمماتها و مكملاتها،

فأخبر أنه خلق السماوات و الأرض بالحق،

ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما،

و ما له من نعوت الكمال و يعلموا أنه خلقهما مسكنا لعباده الذين يعبدونه،

بما يأمرهم به في الشرائع التي أنزلها على ألسنة رسله،

و لهذا نزه نفسه عن شرك المشركين به

فقال: (تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

أي: تنزه و تعاظم عن شركهم فإنه الإله حقا،

الذي لا تنبغي العبادة و الحب و الذل إلا له تعالى،

و لما ذكر خلق السماوات و الأرض ذكر خلق ما فيهما.

و بدأ بأشرف ذلك و هو الإنسان فقال: (خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ)

لم يزل يدبرها و يرقيها و ينميها حتى صارت بشرا تاما كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، قد غمره بنعمه الغزيرة،

حتى إذا استتم فخر بنفسه و أعجب بها

(فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ)

يحتمل أن المراد:- فإذا هو خصيم لربه، يكفر به، و يجادل رسله،

و يكذب بآياته. و نسي خلقه الأول و ما أنعم الله عليه به، من النعم

فاستعان بها على معاصيه،

و يحتمل أن المعنى: أن الله أنشأ الآدمي من نطفة،

ثم لم يزل ينقله من طور، إلى طور حتى صار عاقلا متكلما، ذا ذهن و رأي:

يخاصم و يجادل، فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال التي ليس

في إمكانه القدرة على شيء منها.

*** يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ خَلْقِهِ الْعَالَمَ الْعُلْوِيَّ وَ هُوَ السَّمَاوَاتُ، وَ الْعَالَمَ السُّفْلِيَّ وَ هُوَ الْأَرْضُ بِمَا حَوَتْ، وَ أَنَّ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ بِالْحَقِّ لَا لِلْعَبَثِ

بَلْ {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}

[النَّجْمِ: 31] .

(وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ)

أي: لأجلكم، و لأجل منافعكم و مصالحكم،

من جملة منافعها العظيمة أن لكم (فِيهَا دِفْءٌ)

مما تتخذون من أصوافها و أوبارها، و أشعارها، و جلودها،

من الثياب و الفرش و البيوت.

(وَ) لكم فيها

(وَمَنَٰفِعُ)

غير ذلك

***يَمْتَنُّ تَعالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا خَلَقَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ،
وَ هِيَ الْإِبِلُ وَ الْبَقَرُ وَ الْغَنَمُ،
كَمَا فَصَّلَهَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَام إِلَى ثَمَانِيَةِ أَزْوَاجٍ،
وَ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَ الْمَنَافِعِ،
مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا يَلْبَسُونَ وَ يَفْتَرِشُونَ،

(وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)

وَ مِنْ أَلْبَانِهَا يَشْرَبُونَ، وَ يَأْكُلُونَ مِنْ أَوْلَادِهَا،
وَ مَا لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْجَمَالِ وَ هُوَ الزِّينَةُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ)

***وَ هُوَ وَقْتُ رُجُوعِهَا عَشِيًّا مِنَ الْمَرْعَى
فَإِنَّهَا تَكُونُ أَمَدّه خَوَاصِرَ، وَ أَعْظَمَهُ ضُرُوعًا، وَ أَعْلَاهُ أَسْنِمَةً،

{وَحِينَ تَسْرَحُونَ }

أَيْ: غُدوة حِينَ تَبْعَثُونَهَا إِلَى الْمَرْعَى.

❍أي: في وقت راحتها و سكونها و وقت حركتها و سرحها،

☼و ذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، كما تتجملون بثيابكم و أولادكم و أموالكم، و تعجبون بذلك .

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ
رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ
أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ
لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ
لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣
وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ
تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ
رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩

(وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ)

من الأحمال الثقيلة، بل و تحملكم أنتم

(إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ)

و لكن الله ذللها لكم.

فمنها ما تركبونه، و منها ما تحملون عليه ما تشاءون من الأثقال إلى البلدان البعيدة و الأقطار الشاسعة،

***وَ ذَلِكَ فِي الْحَجِّ وَ الْعُمْرَةِ وَ الْغَزْوِ وَ التِّجَارَةِ،
وَ مَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ، تَسْتَعْمِلُونَهَا فِي أَنْوَاعِ الِاسْتِعْمَالِ، مِنْ رُكُوبٍ وَ تَحْمِيلٍ،كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}
[الْمُؤْمِنُونَ: 21، 22]
وَ قَالَ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ}
[غَافِرٍ: 79، 81]

(إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ)

إذ سخر لكم ما تضطرون إليه و تحتاجونه،

فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، و عظيم سلطانه و سعة جوده و بره.

(وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ)

سخرناها لكم

(لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ)

أي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب

و تارة لأجل الجمال و الزينة،

و لم يذكر الأكل لأن البغال و الحمر محرم أكلها

و الخيل لا تستعمل – في الغالب– للأكل،

بل ينهى عن ذبحها لأجل الأكل خوفا من انقطاعها

و إلا فقد ثبت في الصحيحين، أن النبي ﷺأذن في لحوم الخيل.

***صحيح البخاري

4219 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

«نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ، وَ رَخَّصَ فِي الخَيْلِ»

***صحيح مسلم

(1942) عَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ:

«نَحَرْنَا فَرَسًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَكَلْنَاهُ»،

(وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)

مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء،

التي يركبها الخلق في البر و البحر و الجو،

و يستعملونها في منافعهم و مصالحهم،

فإنه لم يذكرها بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد،

أو يعرفون نظيره،

○و أما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه و لم يفهموا المراد منه، [فيذكر أصلا جامعا] يدخل فيه ما يعلمون و ما لا يعلمون،

كما ذكر نعيم الجنة و سمى منه ما نعلم و نشاهد نظيره،

كالنخل و الأعناب و الرمان، و أجمل ما لا نعرف له نظيرا في قوله:

(فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ)

فكذلك هنا ذكر ما نعرفه من المراكب كالخيل و البغال و الحمير و الإبل و السفن، و أجمل الباقي في قوله:

(وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ)

و لما ذكر تعالى الطريق الحسي،

و أن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من الإبل و غيرها

ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه فقال:

(وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ)

أي: الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق و أخصرها موصل إلى الله.

(وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ)

و أما الطريق الجائر في عقائده و أعماله و هـــــــو:

كل ما خالف الصراط المستقيم فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء،
فسلك المهتدون الصراط المستقيم بإذن ربهم،
و ضل الغاوون عنه، وسلكوا الطرق الجائرة
***حَائِدٌ مَائِلٌ زَائِغٌ عَنِ الْحَقِّ.
***هِيَ الطُّرُقُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَ الْآرَاءُ وَ الْأَهْوَاءُ الْمُتَفَرِّقَةُ،
كَالْيَهُودِيَّةِ وَ النَّصْرَانِيَّةِ وَ الْمَجُوسِيَّةِ،

(وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ)

و لكنه هدى بعضا كرما و فضلا و لم يهد آخرين، حكمة منه و عدلا.
***لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ مَا يُسَار عَلَيْهِ فِي السُّبُلِ الْحِسِّيَّةِ،
نَبَّهَ عَلَى الطُّرُق الْمَعْنَوِيَّةِ الدِّينِيَّةِ،وَ كَثِيرًا مَا يَقَعُ فِي الْقُرْآنِ الْعُبُورُ مِنَ الْأُمُورِ الْحِسِّيَّةِ إِلَى الْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ النَّافِعَةِ الدِّينِيَّةِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [الْبَقَرَةِ: 197]
وَ قَالَ: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الْأَعْرَافِ: 26]

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾
يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ)

تتفكرون بذلك على كمال قدرة الله الذي أنزل هذا الماء من السحاب الرقيق اللطيف و رحمته حيث جعل فيه ماء غزيرا منه يشربون و تشرب مواشيهم

(وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ)

***الميسر:و أخرج لكم به شجراً تَرْعَوْن فيه دوابّكم،**
و يعود عليكم دَرُّها و نفْعُها.

(يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ)

Oو يسقون منه حروثهم فتخرج لهم الثمرات الكثيرة و النعم الغزيرة.

***يُخرج لكم من الأرض بهذا الماء الواحد الزروع المختلفة،**
و يُخرج به الزيتون و النخيل و الأعناب،
و يُخرج به كل أنواع الثمار و الفواكه.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ)

إن في ذلك الإخراج لدلالةً واضحة لقوم يتأملون، فيعتبرون.

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾

(وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ)

أي: سخر لكم هذه الأشياء لمنافعكم و أنواع مصالحكم

بحيث لا تستغنون عنها أبدا،

فبالليل تسكنون و تنامون و تستريحون،

(وَٱلنَّهَارَ)

تنتشرون في معايشكم و منافع دينكم و دنياكم،

(وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ)

من الضياء و النور و الإشراق، و إصلاح الأشجار و الثمار و النبات،

و تجفيف الرطوبات، و إزالة البرودة الضارة للأرض، و للأبدان،

و غير ذلك من الضروريات و الحاجيات التابعة لوجود الشمس و القمر.

(وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ)

و فيهما و في النجوم من الزينة للسماء و الهداية في ظلمات البر و البحر،

و معرفة الأوقات و حساب الأزمنة ما تتنوع دلالاتها و تتصرف آياتها،

و لهذا جمعها في قوله (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ)

أي: لمن لهم عقول يستعملونها في التدبر و التفكر فيما هي مهيأة له مستعدة تعقل ما تراه و تسمعه،

لا كنظر الغافلين الذين حظهم من النظر حظ البهائم التي لا عقل لها.

وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

(وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ)

أي: فيما ذرأ الله و نشر للعباد من كل ما على وجه الأرض،

من حيوان و أشجار و نبات، وغير ذلك، مما تختلف ألوانه، و تختلف منافعه،

آية على كمال قدرة الله و عميم إحسانه، و سعة بره،

و أنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له،

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)

أي: يستحضرون في ذاكرتهم ما ينفعهم من العلم النافع،

و يتأملون ما دعاهم الله إلى التأمل فيه حتى يتذكروا بذلك ما هو دليل عليه.

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً

تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ

وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

أي: (وَهُوَ)

وحده لا شريك له

(الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ)

و هيأه لمنافعكم المتنوعة

(لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا)

و هو السمك و الحوت الذي يصطادونه منه،

(وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)

فتزيدكم جمالا و حسنا إلى حسنكم،

(وَتَرَى ٱلْفُلْكَ)

أي: السفن و المراكب

(مَوَاخِرَ فِيهِ)

***تشقه

أي: تمخر في البحر العجاج الهائل بمقدمها

حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر،

تحمل المسافرين و أرزاقهم و أمتعتهم و تجاراتهم التي يطلبون بها الأرزاق

و فضل الله عليهم.

(وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

الذي يسر لكم هذه الأشياء و هيأها و تثنون على الله الذي منَّ بها،

فلله تعالى الحمد والشكر والثناء،

حيث أعطى العباد من مصالحهم و منافعهم فوق ما يطلبون،و أعلى ما يتمنون،

و آتاهم من كل ما سألوه،

لا نحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه.

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾
وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾
وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـٔٗا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾
أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٖۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ
يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ
ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾
وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

أي: (وَأَلْقَىٰ)

الله تعالى لأجل عباده

(فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ)

و هي: الجبال العظام

(أَن تَمِيدَ بِكُمْ)

لئلا تميد بهم و تضطرب بالخلق

فيتمكنون من حرث الأرض و البناء و السير عليها،

و من رحمته تعالى أن جعل فيها أنهارا،

يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم و سقي مواشيهم و حروثهم

(وَأَنْهَٰرًا)

على وجه الأرض،

(وَأَنْهَٰرًا)

في بطنها يستخرجونها بحفرها،

حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخر الله لهم من الدوالي و الآلات و نحوها

و من رحمته أن جعل في الأرض

(وَسُبُلًا)

أي: طرقا توصل إلى الديار المتنائية

***وَ كَذَلِكَ جَعَلَ فِيهَا سُبُلًا أَيْ: طُرُقًا يُسْلَكُ فِيهَا مِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ، حَتَّى إِنَّهُ تَعَالَى لَيَقْطَعُ الْجَبَلَ حَتَّى يَكُونَ مَا بَيْنَهُمَا مَمَرًّا وَ مَسْلَكًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا} [الْأَنْبِيَاءِ: 31]

(لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

السبيل إليها حتى إنك تجد أرضا مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها

و قد جعل الله فيما بينها منافذ و مسالك للسالكين.

(وَعَلَامَاتٍ)

***دَلَائِلَ مِنْ جِبَالٍ كِبَارٍ وَ آكَامٍ صِغَارٍ، وَ نَحْوِ ذَلِكَ، يَسْتَدِلُّ بِهَا الْمُسَافِرُونَ برًا وَ بَحْرًا إِذَا ضَلُّوا الطَّرِيقَ بِالنَّهَارِ.

وَ قَوْلُهُ:{وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}

أَيْ: فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣﴾

لما ذكر تعالى ما خلقه من المخلوقات العظيمة،

و ما أنعم به من النعم العميمة ذكر أنه لا يشبهه أحد و لا كفء له و لا ند له

فقال: (أَفَمَن يَخۡلُقُ)

جميع المخلوقات و هو الفعال لما يريد

(كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ)

شيئا لا قليلا و لا كثيرا،

(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)

فتعرفون أن المنفرد بالخلق أحق بالعبادة كلها،

فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره فإنه واحد في إلهيته و توحيده و عبادته.

و كما أنه ليس له مشارك إذ أنشأكم و أنشأ غيركم،

فلا تجعلوا له أندادا في عبادته بل أخلصوا له الدين،

(وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ)

عددا مجردا عن الشكر

(لَا تُحۡصُوهَآۗ)

فضلا عن كونكم تشكرونها،

فإن نعمه الظاهرة و الباطنة على العباد بعدد الأنفاس و اللحظات،

من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد،

و مما لا يعرفون و ما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى،

(إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ)

يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير.

(رَّحِيمٌ)

و كما أن رحمته واسعة وجوده عميم و مغفرته شاملة للعباد فعلمه محيط بهم،

(وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

بخلاف من عبد من دونه،

فإنهم

(لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا)

قليلا و لا كثيرا

(وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ)

فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى؟

و مع هذا ليس فيهم من أوصاف الكمال شيء لا علم، و لا غيره

*** كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ:{أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصَّافَّاتِ: 95، 96]

(أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ)

فلا تسمع و لا تبصر و لا تعقل شيئا،
أفتتخذ هذه آلهة من دون رب العالمين،
فتبا لعقول المشركين ما أضلها وأفسدها،
حيث ضلت في أظهر الأشياء فسادا،
و سووا بين الناقص من جميع الوجوه فلا أوصاف كمال،و لا شيء من الأفعال
و بين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال و له من تلك الصفة
أكملها و أعظمها،

(وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)

فله العلم المحيط بكل الأشياء و القدرة العامة و الرحمة الواسعة التي ملأت
جميع العوالم، و الحمد و المجد و الكبرياء و العظمة،
التي لا يقدر أحد من الخلق أن يحيط ببعض أوصافه، و لهـــــذا قال:

(إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ)

و هو الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد و لم يكن له كفوا أحد.
فأهل الإيمان و العقول أجلته قلوبهم و عظمته، و أحبته حبا عظيما،
و صرفوا له كل ما استطاعوا من القربات البدنية و المالية، و أعمال القلوب
و أعمال الجوارح، و أثنوا عليه بأسمائه الحسنى و صفاته و أفعاله المقدسة،
***يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ،
وَ أَخْبَرَ أَنَّ الْكَافِرِينَ تُنكر قُلُوبُهُمْ ذَلِكَ،
كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ ذَلِكَ:

{أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}[ص:5]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزُّمَرِ:45] .

(فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ)

لهذا الأمر العظيم الذي لا ينكره إلا أعظم الخلق جهلا و عنادا و هـــو: – توحيد الله

(وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ)

عن عبادته.

(لَا جَرَمَ)

أي: حقا لا بد

(أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ)

من الأعمال القبيحة

(إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ)

بل يبغضهم أشد البغض، و سيجازيهم من جنس عملهم

{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60]

وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥

﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾

يقول تعالى – مخبرا عن شدة تكذيب المشركين بآيات الله:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ)

أي: إذا سألوا عن القرآن و الوحي الذي هو أكبر نعمة أنعم الله بها على العباد فماذا قولكم به؟

و هل تشكرون هذه النعمة و تعترفون بها أم تكفرون و تعاندون ؟

فيكون جوابهم أقبح جواب و أسمجه،

فيقولون عنه: إنه (أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ)

أي: كذب اختلقه محمد على الله،

و ما هو إلا قصص الأولين التي يتناقلها الناس جيلا بعد جيل،

منها الصدق و منها الكذب،

فقالوا هذه المقالة، و دعوا أتباعهم إليها،

(لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)

و حملوا وزرهم و وزر من انقاد لهم إلى يوم القيامة.

و قوله: (وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ)

أي: من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم إلا ما دعوهم إليه،

فيحملون إثم ما دعوهم إليه،

و أما الذين يعلمون فكلٌّ مستقلٌّ بجرمه، لأنه عرف ما عرفوا

(أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ)

أي: بئس ما حملوا من الوزر المثقل لظهورهم، من وزرهم و وزر من أضلوه.

***إِنَّمَا قَدَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ فَيَتَحَمَّلُوا أَوْزَارَهُمْ
وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَتْبَعُونَهُمْ وَ يُوَافِقُونَهُمْ، أَيْ:-
يَصِيرُعَلَيْهِمْ خَطِيئَةُ ضَلَالِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَ خَطِيئَةُ إِغْوَائِهِمْ لِغَيْرِهِمْ
وَ اقْتِدَاءِ أُولَئِكَ بِهِمْ،
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:
صحيح مسلم
(2674) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:
☼مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ،
لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا،
☼وَ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ،
لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»

(قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)

برسلهم و احتالوا بأنواع الحيل على رد ما جاءوهم به

و بنوا من مكرهم قصورا هائلة،

***هَذَا مِنْ بَابِ الْمَثَلِ، لِإِبْطَالِ مَا صَنَعَهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَ أَشْرَكُوا فِي عِبَادَتِهِ غَيْرَهُ،
كَمَا قَالَ نُوحٌ عليه السلام: {وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا} [نُوحٍ: 22]

***احْتَالُوا فِي إِضْلَالِ النَّاسِ بِكُلِّ حِيلَةٍ وَ أَمَالُوهُمْ إِلَى شِرْكِهِمْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ،
كَمَا يَقُولُ لَهُمْ أَتْبَاعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
{بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا}[سَبَأٍ: 33]

(فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ)

أي: جاءها الأمر من أساسها و قاعدتها،
*** اجْتَثَّهُ مِنْ أَصْلِهِ، وَ أَبْطَلَ عَمَلَهُمْ، وَ أَصْلَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ} [الْمَائِدَةِ: 64] .
وَ قَوْلُهُ: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ}
[الْحَشْرِ: 2] .

(فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ)

فصار ما بنوه عذابا عُذِّبُوا به،

(وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)

و ذلك أنهم ظنوا أن هذا البنيان سينفعهم و يقيهم العذاب

فصار عذابهم فيما بنوه و أصَّلوه.

و هذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه.

فإنهم فكروا وقدروا فيما جاءت به الرسل لما كذبوهم

و جعلوا لهم أصولا و قواعد من الباطل يرجعون إليها،

و يردون بها ما جاءت به الرسل،

و احتالوا أيضا على إيقاع المكروه و الضرر بالرسل و من تبعهم،

فصار مكرهم وبالا عليهم، فصار تدبيرهم فيه تدميرهم،

و ذلك لأن مكرهم سيئ

(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ)

هذا في الدنيا و لعذاب الآخرة أخزى، و لهذا قال:

ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۢۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا
حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلۡ
يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾

ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

(ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ)

أي: يفضحهم على رءوس الخلائق

و يبين لهم كذبهم و افتراءهم على الله.

***يُظْهِرُ فَضَائِحَهُمْ، وَ مَا كَانَتْ تُجنه ضَمَائِرُهُمْ، فَيَجْعَلُهُ عَلَانِيَةً،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطَّارِقِ: 9]

أَيْ: تَظْهَرُ وَ تَشْتَهِرُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ

صحيح البخاري

6178 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: " إِنَّ الغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ،

فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ "

(وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ)

أي: تحاربون و تعادون الله و حزبه لأجلهم و تزعمون أنهم شركاء لله،

فإذا سألهم هذا السؤال لم يكن لهم جواب إلا الإقرار بضلالهم،

و الاعتراف بعنادهم فيقولون :

{ ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأعراف: 37]

(قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ۚ)

أي: العلماء الربانيون

(إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ)

أي: يوم القيامة

(وَٱلسُّوٓءَ)

أي: العذاب

(عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ)

و في هذا فضيلة أهل العلم،

و أنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا و يوم يقوم الأشهاد،

و أن لقولهم اعتبارا عند الله و عند خلقه،

ثم ذكر ما يفعل بهم عند الوفاة و في القيامة فقال:

(ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ)

أي: تتوفاهم في هذه الحال التي كثر فيها ظلمهم و غيهم

و قد علم ما يلقى الظلمة في ذلك المقام من أنواع العذاب و الخزي

و الإهانة.

*** يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ الظَّالِمِي أَنْفُسِهِمْ عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ

وَ مَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِمْ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ

(فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ)

أي: استسلموا و أنكروا ما كانوا يعبدونهم من دون الله

***أَظْهَرُوا السَّمْعَ وَ الطَّاعَةَ وَ الِانْقِيَادَ

و قالوا: (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۚ)

*** كَمَا يَقُولُونَ يَوْمَ الْمَعَادِ:

{وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الْأَنْعَامِ: 23]

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ} [الْمُجَادَلَةِ: 18]

فيقال لهم:

(بَلَىٰٓ)

كنتم تعملون السوء

فـــــــ(إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)

فلا يفيدكم الجحود شيئا،

و هذا في بعض مواقف القيامة ينكرون ما كانوا عليه في الدنيا ظنا أنه ينفعهم،

فإذا شهدت عليهم جوارحهم

و تبين ما كانوا عليه أقروا و اعترفوا،

و لهذا لا يدخلون النار حتى يعترفوا بذنوبهم.

(فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ)

كلُّ أهل عمل يدخلون من الباب اللائق بحالهم،

(فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ)

نار جهنم فإنها مثوى الحسرة و الندم، و منزل الشقاء و الألم

و محل الهموم و الغموم، و موضع السخط من الحي القيوم،

لا يفتَّر عنهم من عذابها،

و لا يرفع عنهم يوما من أليم عقابها،

قد أعرض عنهم الرب الرحيم،

و أذاقهم العذاب العظيم.

۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ
وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
طَيِّبِينَ لَا يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

(وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ)

*** ما الذي أنزل الله على النبي محمد ﷺ؟

(قَالُواْ خَيْرًاۗ)

لما ذكر الله قيل المكذبين بما أنزل الله، ذكر ما قاله المتقون،

و أنهم اعترفوا و أقروا بأن ما أنزله الله نعمة عظيمة،

و خير عظيم امتن الله به على العباد،

فقبلوا تلك النعمة، و تلقوها بالقبول و الانقياد، و شكروا الله عليها،

فعلموها و عملوا لها

(لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ)

في عبادة الله تعالى، و أحسنوا إلى عباد الله فلهم

(فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ)

رزق واسع، و عيشه هنية، و طمأنينة قلب، و أمن و سرور.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النَّحْلِ: 97]

أَيْ: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

(وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ)

من هذه الدار و ما فيها من أنواع اللذات و المشتهيات،

فإن هذه نعيمها قليل محشو بالآفات منقطع، بخلاف نعيم الآخرة

*** ثُمَّ أَخْبَرَ بِأَنَّ دَارَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ، أَيْ: مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،

وَ الْجَزَاءُ فِيهَا أَتَمُّ مِنَ الْجَزَاءِ فِي الدُّنْيَا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ} [الْقَصَصِ: 80]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ} [آلِ عِمْرَانَ: 198]

وَ قَالَ تَعَالَى{وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[الْأَعْلَى: 17]

وَ قَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ{وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى}[الضُّحَى: 4] .

و لهذا قال:(وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ)

(جَنَّٰتُ عَدۡنٖ)

***مقامة

(يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

[الزُّخْرُفِ: 71]

❍أي: مهما تمنته أنفسهم و تعلقت به إرادتهم حصل لهم على أكمل الوجوه و أتمها،

فلا يمكن أن يطلبوا نوعا من أنواع النعيم الذي فيه لذة القلوب و سرور الأرواح، إلا و هو حاضر لديهم،

و لهذا يعطي الله أهل الجنة كل ما تمنوه عليه،

حتى إنه يذكرهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.

فتبارك الذي لا نهاية لكرمه،و لا حد لجوده الذي ليس كمثله شيء في صفات ذاته، و صفات أفعاله و آثار تلك النعوت، و عظمة الملك و الملكوت،

(كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ)

لسخط الله و عذابه بـــــــ:-

1-أداء ما أوجبه عليهم من الفروض و الواجبات المتعلقة بـــــ

القلـــــــب و البـــــدن و اللســــــان من حقه و حق عباده،

2-و تـــــــرك ما نهاهم الله عنه.

(ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)

مستمرين على تقواهم

(طَيِّبِينَ)

***ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حَالِهِمْ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ

أَنَّهُمْ طَيِّبُونَ، أَيْ: مُخَلَّصُونَ مِنَ الشِّرْكِ و الدنس وَ كُلِّ سُوءٍ،

❍أي: طاهرين مطهرين من كل نقص و دنس يتطرق إليهم

و يخل في إيمانهم،

فطابت قلوبهم بمعرفة الله و محبته و ألسنتهم بذكره و الثناء عليه، و جوارحهم

بطاعته و الإقبال عليه،

(يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ)

أي: التحية الكاملة حاصلة لكم و السلامة من كل آفة.

و قد سلمتم من كل ما تكرهون

***وَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ وَ تُبَشِّرُهُمْ بِالْجَنَّةِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}[فُصِّلَتْ: 30 -32].

(ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)

من الإيمان بالله و الانقياد لأمره،

فإن العمل هو السبب و المادة و الأصل في دخول الجنة و النجاة من النار،

و ذلك العمل حصل لهم برحمة الله و منته عليهم لا بحولهم و قوتهم.

هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾

(هَلۡ يَنظُرُونَ)

يقول تعالى:هل ينظر هؤلاء الذين جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا،

و ذكِّروا فلم يتذكروا،

(إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)

لقبض أرواحهم

(أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ)

بالعذاب الذي سيحل بهم فإنهم قد استحقوا وقوعه فيهم،

(كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ)

كذبوا و كفروا، ثم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب.

*** هَكَذَا تَمَادَى فِي شِرْكِهِمْ أَسْلَافُهُمْ وَ نُظَرَاؤُهُمْ وَ أَشْبَاهُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَ اللَّهِ، وَ حَلُّوا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ.

(وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ)

إذ عذبهم

(وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ)

فإنها مخلوقة لعبادة الله ليكون مآلها إلى كرامة الله فظلموها

و تركوا ما خلقت له، و عرضوها للإهانة الدائمة و الشقاء الملازم.

(فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ)

أي: عقوبات أعمالهم و آثارها،

(وَحَاقَ بِهِم)

أي: نزل

(مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)

فإنهم كانوا إذا أخبرتهم رسلهم بالعذاب استهزأوا به،

و سخروا ممن أخبر به فحل بهم ذلك الأمر الذي سخروا منه.

الدنيا و لعذاب الآخرة أخزى،

*****يَسْخَرون مِنَ الرُّسُلِ إِذَا تَوَعَّدُوهُمْ بِعِقَابِ اللَّهِ؛**

فَلِهَذَا يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:{هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} [الطُّورِ: 14] .

و لهذا قال:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا
حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ
فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن
يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن
يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي
يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ
أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾
ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا
حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا)

أي: احتج المشركون على شركهم بمشيئة الله،

و أن الله لو شاء ما أشركوا،

(وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ)

و لا حرموا شيئا من الأنعام التي أحلها كالبحيرة و الوصيلة و الحام و نحوها من دونه،

(كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ)

و هذه حجة باطلة، فإنها لو كانت حقا ما عاقب الله الذين من قبلهم حيث أشركوا به، فعاقبهم أشد العقاب.

فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم،

و ليس قصدهم بذلك إلا رد الحق الذي جاءت به الرسل،

و إلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله.

فإن الله أمرهم و نهاهم و مكنهم من القيام بما كلفهم

و جعل لهم قوة و مشيئة تصدر عنها أفعالهم.

فاحتجاجهم بالقضاء و القدر من أبطل الباطل،

هذا و كل أحد يعلم بالحس قدرة الإنسان على كل فعل يريده من غير أن ينازعه منازع،

فجمعوا بين تكذيب الله و تكذيب رسله و تكذيب الأمور العقلية و الحسية

(لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ)

***فَمَشِيئَتُهُ تَعَالَى الشَّرْعِيَّةُ :-

مُنْتَفِيَةٌ لِأَنَّهُ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِك عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ

وَ أَمَّا مَشِيئَتُهُ الْكَوْنِيَّةُ:-

وَ هِيَ تَمْكِينُهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَدَرًا، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهَا لِأَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ النَّارَ وَ أَهْلَهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ وَ الْكَفَرَةِ،

وَ هُوَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَ لَهُ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ بَالِغَةٌ وَ حِكْمَةٌ قَاطِعَةٌ.

(فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ)

أي: البين الظاهر الذي يصل إلى القلوب،

و لا يبقى لأحد على الله حجة،

فإذا بلغتهم الرسل أمر ربهم و نهيه،

و احتجوا عليهم بالقدر،

فليس للرسل من الأمر شيء،

و إنما حسابهم على الله عز وجل.

وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ
هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ
وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا)

يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم،

و أنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا و بعث الله فيها رسولا

و كلهم متفقون على دعوة واحدة و دين واحد،

و هو عبادة الله وحده لا شريك له

(أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)

***الميسر: آمراً لهم بعبادة الله وطاعته وحده**

و تَرْكِ عبادة غيره من الشياطين و الأوثان و الأموات و غير ذلك مما يتخذ من دون الله وليًا

○فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل و عدمها قسمين،

(فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ)

فاتبعوا المرسلين علما و عملا

(وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)

فاتبع سبيل الغي.

(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ)

بأبدانكم و قلوبكم

(فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)

فإنكم سترون من ذلك العجائب، فلا تجدون مكذبا إلا كان عاقبته الهلاك.

*** اسْأَلُوا عَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مَنْ خَالَفَ الرُّسُلَ وَ كَذَّبَ الْحَقَّ كَيْفَ {دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} [مُحَمَّدٍ: 10]

{وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [الْمُلْكِ: 18] .

(إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ)

و تبذل جهدك في ذلك

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنَّ حِرْصَهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ لَا يَنْفَعُهُمْ، إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَرَادَ إِضْلَالَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [الْمَائِدَةِ: 41]

وَ قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: {وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} [هُودٍ: 34] ، وَ قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ}

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الْأَعْرَافِ: 186]

وَ قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يُونُسَ: 96، 97]

(فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَن يُضِلُّ ۖ)

و لو فعل كل سبب لم يهده إلا الله،

(وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ)

ينصرونهم من عذاب الله و يقونهم بأسه.

*** يُنْقِذُونَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَ وَثَاقِهِ،

{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الْأَعْرَافِ: 54]

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا

كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

يخبر تعالى عن المشركين المكذبين لرسوله أنهم

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ)

أي:حلفوا أيمانا مؤكدة مغلظة على تكذيب الله،و أن الله لا يبعث الأموات،

و لا يقدر على إحيائهم بعد أن كانوا ترابا،

قال تعالى مكذبا لهم:

(بَلَىٰ)

سيبعثهم و يجمعهم ليوم لا ريب فيه

(وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا)

لا يخلفه و لا يغيره

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

***الميسر:و لكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، فينكرونه.**

○و من جهلهم العظيم إنكارهم للبعث و الجزاء،

ثم ذكر الحكمة في الجزاء و البعث فقال:

(لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ)

من المسائل الكبار و الصغار، فيبين حقائقها و يوضحها.

(وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ)

حين يرون أعمالهم حسرات عليهم،

و ما نفعتهم آلهتهم التي يدعون مع الله من شيء لما جاء أمر ربك،

و حين يرون ما يعبدون حطبا لجهنم،

و تكور الشمس و القمر و تتناثر النجوم،

و يتضح لمن يعبدها أنها عبيد مسخرات،

و أنهن مفتقرات إلى الله في جميع الحالات،

و ليس ذلك على الله بصعب، و لا شديد

(إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)

فإنه إذا أراد شيئا قال له:-كن فيكون، من غير منازعة و لا امتناع،

بل يكون على طبق ما أراده و شاءه.

*** كَمَا قَالَ {وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [الْقَمَرِ: 50]

وَ قَالَ: {مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لُقْمَانَ: 28]
وَ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:
{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النَّحْلِ: 40]
أَيْ: أَنْ يَأْمُرَ بِهِ دُفْعَةً واحدة فإذا هو كائن،

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى بفضل المؤمنين الممتحنين

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ)

أي: في سبيله و ابتغاء مرضاته

(مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)

بالأذية و المحنة من قومهم،الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر و الشرك،

فتركوا الأوطان و الخلان،

و انتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن،

فذكر لهم ثوابين:–

ثوابا عاجلا في الدنيا من الرزق الواسع و العيش الهنيء،

- الذي رأوه عيانا بعد ما هاجروا، و انتصروا على أعدائهم،
- و افتتحوا البلدان و غنموا منها الغنائم العظيمة،

فتمولوا و آتاهم الله في الدنيا حسنة.

(وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ)

الذي وعدهم الله على لسان رسوله

(أَكْبَرُۚ)

من أجر الدنيا،

كما قال تعالى:(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ* يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)

و قوله: (لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ)

أي: لو كان لهم علم و يقين بما عند الله من الأجر و الثواب لمن آمن به و هاجر في سبيله لم يتخلف عن ذلك أحد.

ثم ذكر وصف أوليائه فقال:(ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ)عـــــلى :-

1-أوامر الله و عن نواهيه،

2-و على أقدار الله المؤلمة،

3-و على الأذية فيه و المحن

(وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابّه، لا على أنفسهم.

و بذلك تنجح أمورهم و تستقيم أحوالهم،

فإن الصبر و التوكل ملاك الأمور كلها،

<u>فمـــــا فـــــات أحـــــدا شـــــيء من الخيـــــر إلا :-</u>

1-لعدم صبــــره و بذل جهده فيما أريد منه،

2-أو لعدم تـــــوكله و اعتماده على الله.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
٤٤ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ
حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ
تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ
ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا
يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١
وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢
وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ
وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:-

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا)

أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملائكة بل رجالا كاملين لا نساء.

(نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ)

من الشرائع و الأحكام ما هو من فضله و إحسانه على العبيد من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم،

***وَ الْغَرَضُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ أَخْبَرَتْ أَنَّ الرُّسُلَ الْمَاضِينَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺكَانُوا بَشَرًا كَمَا هُوَ بَشَرٌ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا} [الْإِسْرَاءِ: 93، 94]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ} [الْفُرْقَانِ: 20]

وَ قَالَ {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ[ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 8، 9]

وَ قَالَ: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} [الْأَحْقَافِ: 9]

وَ قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الْكَهْفِ: 110]

(فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ)

أي: الكتب السابقة

(إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

نبـــــأ الأولين، و شككتم هل بعث الله رجالا؟

فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر و البينات فعلموها و فهموها فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا رجالا يوحي إليهم من أهل القرى،

و عموم هذه الآية فيهـــــا :-

1-مـــــــدح أهل العلم،

2-و أن أعـــــلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل.

فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث

3-و في ضمنــــــه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم،

4-و أن بـــــذلك يخرج الجاهل من التبعة،

5-فدل على أن الله ائتمنهـــــم على وحيه و تنزيله،

و أنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، و الاتصاف بصفات الكمال.

(بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

***بِالدَّلَالَاتِ وَ الْحُجَجِ

(وَٱلزُّبُرِ)

***وَ هِيَ الْكُتُبُ.

وَ الزُّبُرُ: جَمْعُ زَبُورٍ،

تَقُولُ الْعَرَبُ: زَبَرْتُ الْكِتَابَ إِذَا كَتَبْتُهُ،

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ} [الْقَمَرِ: 52]

وَ قَالَ: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 105] .

و أفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم،

فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، و أولى من غيرهم بهذا الاسم،

و لهذا قال تعالى:(وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ)

أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم و دنياهم الظاهرة و الباطنة،

(لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)

و هذا شامل لتبيين ألفاظه و تبيين معانيه،

(وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

فيه فيستخرجون من كنوزه و علومه بحسب استعدادهم و إقبالهم عليه.

***يَنْظُرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ فَيَهْتَدُونَ، فَيَفُوزُونَ بِالنَّجَاةِ فِي الدارين.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

(أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ)

*الميسر:أفأمن الكفار المدبِّرون للمكايد

(أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ)

*الميسر:كما فعل بقارون،

○هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر و التكذيب و أنواع المعاصي،

من أن يأخذهم العذاب من فوقهم،

أو من أسفل منهم بالخسف و غيره،

(أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ)

و إما أن يأخذهم بالعذاب على غرَّة و هم لا يشعرون،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ* أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} [الْمُلْكِ: 16، 17]

(أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ)

و إما في حال تقلُّبهم و شغلهم و عدم خطور العذاب ببالهم،

***فِي تَقَلُّبِهِمْ فِي الْمَعَايِشِ وَ اشْتِغَالِهِمْ بِهَا، مِنْ أَسْفَارٍ وَ نَحْوِهَا مِنَ الْأَشْغَالِ الْمُلْهِيَةِ.

قَالَ قَتَادَةُ وَ السُّدِّيُّ: {تَقَلُّبِهِمْ}

أَيْ: أَسْفَارِهِمْ.

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ: {فِي تَقَلُّبِهِمْ}

فِي اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ*أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الْأَعْرَافِ: 97، 98]

(فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ)

فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال،

بل هم تحت قبضته و نواصيهم بيده .

(أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ)

و إما في حال تخوفهم من العذاب

(فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)

و لكنه رءوف رحيم لا يعاجل العاصين بالعقوبة،

بل يمهلهم و يعافيهم و يرزقهم و هم يؤذونه و يؤذون أولياءه،

و مع هذا يفتح لهم أبواب التوبة،

و يدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي تضرهم

و يعدهم بذلك أفضل الكرامات،

و مغفرة ما صدر منهم من الذنوب،

فليستح المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات

و معاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات،

و ليعلم أن الله يمهل و لا يهمل و أنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه،

و ليرجع في جميع أموره إليه فإنه رءوف رحيم.

فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة و بره العميم و سلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم،

ألا و هي تقواه و العمل بما يحبه و يرضاه.

***** صحيح البخاري**

4686 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»
قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}

[هود: 102]( )

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

(ليملي) ليمهل. (لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه.
(وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب. (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه.
(أخذ القرى) أخذ أهلها / هود 102 /]

يقول تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ)

أي: الشاكون في توحيد ربهم و عظمته و كماله،

(إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ)

أي: إلى جميع مخلوقاته

(يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ)

و كيف تتفيأ أظلتها،

(عَنِ ٱلۡيَمِينِ)

و عن (وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ)

أي: كلها ساجدة لربها خاضعة لعظمته و جلاله،

(وَهُمۡ دَٰخِرُونَ)

أي: ذليلون تحت التسخير و التدبير و القهر،

ما منهم أحد إلا و ناصيته بيد الله و تدبيره عنده.

(وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ)

من الحيوانات الناطقة و الصامتة،

*** كَمَا قَالَ: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} [الرَّعْدِ: 15]

(وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)

الكرام خصهم بعد العموم لفضلهم و شرفهم و كثرة عبادتهم

و لهذا قال: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

أي: عن عبادته على كثرتهم و عظمة أخلاقهم و قوتهم كما قال تعالى:

{ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} [النساء: 172]

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾

لما مدحهم بكثرة الطاعة و الخضوع لله،

مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بـــــــ:-

الـــــذات و القهـــــر، و كمـــــال الأوصاف،

فهم أذلاء تحت قهره.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾

أي: مهما أمرهم الله تعالى امتثلوا لأمره، طوعا و اختيارا،

و سجــــــود المخلوقات لله تعالى قسمــــــان:-

1-سجود اضطرار:-

و دلالة على ما له من صفات الكمال،

و هذا عام لكل مخلوق من مؤمن و كافر و بر و فاجر و حيوان ناطق و غيره

2-و سجود اختيار :-

يختص بأوليائه و عباده المؤمنين من الملائكة و غيرهم من المخلوقات .

۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾
وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾
وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

(وَقَالَ ٱللَّهُ)

يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له،

و يستدل على ذلك بانفراده بالنعم و الوحدانية فقـــــال:

(لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ)

أي: تجعلون له شريكا في إلهيته،

و هو (إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ)

متوحد في الأوصاف العظيمة متفرد بالأفعال كلها.

فكما أنه الواحد في ذاته و أسمائه و نعوته و أفعاله، فلتوحِّدوه في عبادته،

و لهـــــذا قال: (فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ)

أي: خافوني و امتثلوا أمري،

و اجتنبوا نهيي من غير أن تشركوا بي شيئا من المخلوقات،

فإنها كلها لله تعالى مملوكة.

(وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ)

***دائمـــــــــــــا

أي:الدين و العبادة و الذل في جميع الأوقات لله وحده على الخلق أن يخلصوه لله و ينصبغوا بعبوديته.

(أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ)

من أهل الأرض أو أهل السماوات فإنهم لا يملكون لكم ضرا و لا نفعا، و الله المنفرد بالعطاء و الإحسان

(وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ)

ظاهرة و باطنة

(فَمِنَ ٱللَّهِۖ)

لا أحد يشركه فيها،

(ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ)

من فقر و مرض و شدة

(فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ)

أي: تضجون بالدعاء و التضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، و صرف ما تكرهون،

هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده.

***لِعِلْمِكُمْ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِزَالَتِهِ إِلَّا هُوَ،

فَإِنَّكُمْ عِنْدَ الضَّرُورَاتِ تَلْجَئُونَ إِلَيْهِ،

وَ تَسْأَلُونَهُ وَ تُلِحُّونَ فِي الرَّغْبَةِ مُسْتَغِيثِينَ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا} [الْإِسْرَاءِ: 67]

(ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)

و لكن كثيرا من الناس يظلمون أنفسهم،

و يجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة

فصاروا في حال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة، و لهــــذا قال:

لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا
يَشۡتَهُونَ ٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ
ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩
لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠ وَلَوۡ
يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ
أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢
تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤

لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥

(لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ)

أي: أعطيناهم حيث نجيناهم من الشدة، و خلصناهم من المشقة،

(فَتَمَتَّعُواْ)

في دنياكم قليلا

(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)

عاقبة كفركم.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ
وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي التُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأٓخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ
وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

(وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ)

يخبر تعالى عن جهل المشركين و ظلمهم و افترائهم على الله الكذب،

و أنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم و لا تنفع و لا تضر –

نصيبا مما رزقهم الله و أنعم به عليهم

فاستعانوا برزقه على الشرك به، و تقربوا به إلى أصنام منحوتة،

كما قال تعالى:{هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ}[الْأَنْعَامِ: 136]

(تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ)

*الميسر:تختلقونه من الكذب على الله.

و يقال: (آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ)

حيث قالوا عن الملائكة العباد المقربين إنهم بنات الله

(وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ)

أي لأنفسهم الذكور حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة

*** كَمَا قَالَ:{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى}[النَّجْمِ: 21، 22]

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا)

○من الغم الذي أصابه

***كئيبا

*الميسر:و إذا جاء مَن يخبر أحدهم بولادة أنثى اسودّ وجهه

(وَهُوَ كَظِيمٌ)

○أي كاظم على الحزن و الأسف إذا بشِّر بأنثى

***سَاكِتٌ مِنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ،

(يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ)

***الميسر:** **يستخفي مِن قومه كراهة أن يلقاهم متلبساً بما ساءه من الحزن و العار؛**

و حتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه و يتوارى منهم من سوء ما بشر به

ثم يعمل فكره و رأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التي بشّر بها

(أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ)

أي يتركها من غير قتل على إهانة و ذل

(أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ)

أي يدفنها و هي حية و هو الوأد الذي ذم الله به المشركين

(أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ)

إذ وصفوا الله بما لا يليق بجلاله من نسبة الولد إليه

ثم لم يكفهم هذا حتى نسبوا له أردأ القسمين و هو الإناث اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها و يكرهونها فكيف ينسبونها لله تعالى؟

فبئس الحكم حكمهم

و لما كان هذا من أمثال السوء التي نسبها إليه أعداؤه المشركون قال تعالى

(لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ)

أي المثل الناقص و العيب التام

*****النَّقْصُ إِنَّمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ**

(وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ)

و هو كل صفة كمال و كل كمال في الوجود

فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصا بوجه

و له المثل الأعلى في قلوب أوليائه و هو التعظيم و الإجلال و المحبة و الإنابة و المعرفة

(وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ)

الذي قهر جميع الأشياء و انقادت له المخلوقات بأسرها

(ٱلۡحَكِيمُ)

الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يأمر و لا يفعل إلا ما يحمد عليه و يثنى على كماله فيه

وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾

لما ذكر تعالى ما افتراه الظالمون عليه ذكر كمال حلمه و صبره فقال:

(وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم)

من غير زيادة و لا نقص،

(مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ)

أي: لأهلك المباشرين للمعصية و غيرهم، من أنواع الدواب و الحيوانات فإن شؤم المعاصي يهلك به الحرث و النسل.

(وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ)

عن تعجيل العقوبة عليهم

(إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ)

Oو هو يوم القيامة

*الميسر: و لكن يبقيهم إلى وقت محدد هو نهاية آجالهم،

(فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ)

فليحذروا ما داموا في وقت الإمهال قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال فيه.

وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ
أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ
لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾

يخبر تعالى أن المشركين

(وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ)

<u>مـــــــــن :-</u>

1-البنـــــات،

2-و من الأوصاف القبيحة و هو[الشـــــرك]

بصرف شيء من العبادات إلى بعض المخلوقات التي هي عبيد لله،

فكما أنهم يكرهون، و لا يرضون أن يكون عبيدهم –
و هم مخلوقون من جنسهم– شركاء لهم فيما رزقهم الله
فكيف يجعلون له شركاء من عبيده؟

(وَ)

هم مع هذه الإساءة العظيمة

(وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ)

أي: أن لهم الحالة الحسنة في الدنيا و الآخرة،
***إِنْكَارٌ عَلَيْهِمْ فِي دَعْوَاهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى فِي الدُّنْيَا،
وَ إِنْ كَانَ ثمَّ مَعَادٍ فَفِيهِ أَيْضًا لَهُمُ الْحُسْنَى، وَ إِخْبَارٌ عَنْ قِيلِ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ،
كَقَوْلِهِ: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نزعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ}
[هُودٍ: 9، 10]
وَ كَقَوْلِهِ : {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [فُصِّلَتْ: 50]
وَ قَوْلُهُ: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مَرْيَمَ: 77، 78]
وَ قَالَ إِخْبَارًا عَنْ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: أَنَّهُ

{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَايِمَةً وَلَيِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الْكَهْفِ: 35، 36]

○رد عليهم بقوله:

(لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ)

*** مَنْسِيُّونَ فِيهَا مُضَيَّعُونَ.

وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا}[الْأَعْرَافِ: 51]

مقدمون إليها ماكثون فيها غير خارجين منها أبدا

***{مُفْرَطُونَ}

مُعَجَّلُونَ إِلَى النَّارِ

○بيَّن تعالى لرسوله ﷺأنه ليس هو أول رسول كُذِّب فقال تعالى:

(تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ)

رسلا يدعونهم إلى التوحيد،

(فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ)

*الميسر:فحسّن لهم الشيطان

(أَعۡمَٰلَهُمۡ)

*الميسر:ما عملوه من الكفر والتكذيب و عبادة غير الله،

❍فكذبوا الرسل، و زعموا أن ما هم عليه، هـــــو الحق المنجي من كل مكروه

و أن ما دعت إليه الرسل فهو بخلاف ذلك،

فلما زين لهم الشيطان أعمالهم، صار وليهم في الدنيا،

فأطاعوه و اتبعوه و تولوه.

(أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)

(فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ)

*الميسر :فهو متولٍّ إغواءهم في الدنيا،

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

في الآخرة حيث توَّلَوْا عن ولاية الرحمن،

و رضوا بولاية الشيطان فاستحقوا لذلك عذاب الهوان.

(وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ)

* الميسر :و ما أنزلنا عليك القرآن -أيها الرسول-

(إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ)

إلا لتوضح للناس ما اختلفوا فيه من الدين و الأحكام

لتقوم الحجة عليهم ببيانك الذي لا يترك الباطل مسلكا إلى النفوس،

(وَهُدًى)

و لكون القرآن هدى لا يترك مجالاً للحيرة

(وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

و رحمة للمؤمنين في اتباعهم الهدى و مجانبتهم الضلال.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥
وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ
٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ
٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ
أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ وَٱللَّهُ فَضَّلَ
بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ
فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ
وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥

(وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ)

لأنه المنعم بإنزال المطر و إنبات جميع أصناف النبات،

و على أنه على كل شيء قدير،

(فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ)

و أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات

و أن الذي نشر هذا الإحسان لذو رحمة واسعة و جود عظيم.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ)

عن الله مواعظه و تذكيره فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود،

الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده،

وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ

(٦٦) وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (٦٧)

أي: (وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ)

التي سخرها الله لمنافعكم

***وَ هِيَ: الْإِبِلُ وَ الْبَقَرُ وَ الْغَنَمُ،

(لَعِبۡرَةٗۖ)

تستدلون بها على كمال قدرة الله و سعة إحسانه

(نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ)

حيث أسقاكم من بطونها المشتملة على الفرث(Î) و الدم،

*** يَتَخَلَّصُ الدَّمُ بَيَاضَهُ وَطَعْمَهُ وَ حَلَاوَتَهُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ فِي بَاطِنِ الْحَيَوَانِ، فَيَسْرِي كلٌ إِلَى مَوْطِنِهِ، إِذَا نَضِجَ الْغِذَاءُ فِي مَعِدَتِهِ تَصَرَّفَ مِنْهُ دَمٌ إِلَى الْعُرُوقِ، وَ لَبَنٌ إِلَى الضَّرْعِ وَ بَوْلٌ إِلَى الْمَثَانَةِ، وَ رَوْثٌ إِلَى الْمَخْرَجِ،

وَ كُلٌّ مِنْهَا لَا يَشُوبُ الْآخَرَ وَ لَا يُمَازِجُهُ بَعْدَ انْفِصَالِهِ عَنْهُ، وَ لَا يَتَغَيَّرُ بِهِ.

○فأخرج من بين ذلك

(لَّبَنًا خَالِصًا)

من الكدر

(سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ)

***لَا يَغَصُّ بِهِ أَحَدٌ.

○للذته

و لأنه يسقي و يغذي، فهل هذه إلا قدرة إلهية لا أمور طبيعية.

فأي شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة و الشراب الذي تشربه من الماء العذب و الملح لبنا خالصا سائغا للشاربين؟

(وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَـٰبِ)

و جعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل و الأعناب

(الميسر:و هو ما في الكَرِش)

(تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا)

و من السَكَرِ الذي كان حلالا قبل ذلك،

ثم إن الله نسخ حلَّ المسكرات،

و أعاض عنها بالطيبات من الأنبذة، و أنواع الأشربة اللذيذة المباحة.

(وَرِزْقًا حَسَنًاۗ)

منافع للعباد،و مصالح من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العبـــــاد :-

طريًّا و نضيجا و حاضرا و مدخرا و طعاما و شرابا يتخذ من عصيرها و نبيذها،

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

***نَاسَبَ ذِكْرُ الْعَقْلِ هَاهُنَا، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ؛

وَ لِهَذَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَشْرِبَةَ الْمُسْكِرَةَ صِيَانَةً لِعُقُولِهَا؛

❍عن الله كمال اقتداره حيث أخرجها من أشجار شبيهة بالحطب،

فصارت ثمرة لذيذة و فاكهة طيبة و على شمول رحمته حيث عم بها عباده

و يسرها لهم وأنه الإله المعبود وحده حيث إنه المنفرد بذلك.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ

فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

(وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ)

***الْمُرَادُ بِالْوَحْيِ هَاهُنَا: الْإِلْهَامُ وَ الْهِدَايَةُ وَ الْإِرْشَادُ إِلَى النَّحْلِ

(أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا)

أَنْ تَتَّخذَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا تَأْوِي إِلَيْهَا،

(وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ)

***الميسر:** **و فيما يبني الناس من البيوت و السُّقُف.**

***ثُمَّ هِيَ مُحْكَمَةٌ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ فِي تَسْدِيسِهَا وَ رَصِّهَا،
بِحَيْثُ لَا يَكُونُ بَيْنَهَا خلَل.

Oفي خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة،

و يسر لها المراعي،

(ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ)

ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، و هدايته لها

***ثُمَّ أَذِنَ لَهَا تَعَالَى إِذْنًا قَدَرِيًّا تَسْخِيرِيًّا أَنْ تَأْكُلَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ،

(فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ)

وَ أَنْ تَسْلُكَ الطُّرُقَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهَا مُذَلَّلَةً، أَيْ:
سَهْلَةً عَلَيْهَا حَيْثُ شَاءَتْ فِي هَذَا الْجَوِّ الْعَظِيمِ وَ الْبَرَارِي الشَّاسِعَةِ،
وَ الْأَوْدِيَةِ وَ الْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ،
ثُمَّ تَعُودُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَ بَيْتِهَا، لَا تَحِيدُ عَنْهُ يُمْنَةً وَ لَا يُسْرَةً،
بَلْ إِلَى بَيْتِهَا وَ مَا لَهَا فِيهِ مِنْ فِرَاخٍ وَ عَسَلٍ،
فَتَبْنِي الشَّمْعَ مِنْ أَجْنِحَتِهَا،

وَ تَقِيءُ الْعَسَلَ مِنْ فِيهَا وَ تَبِيضُ الْفِرَاخَ مِنْ دُبُرِهَا، ثُمَّ تُصْبِحُ إِلَى مَرَاعِيهَا.

*** (ذُلُلًاۚ)

مُطِيعَةً. فَجَعَلَاهُ حَالًا مِنَ السَّالِكَةِ.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَ هُوَ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

{وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} [يس: 72]

قَالَ: أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَنْقُلُونَ النَّحْلَ مِنْ بُيُوتِهِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَ هُوَ يَصْحَبُهُمْ.

(يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ)

ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ

(مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ)

مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها و مراعيها،

*** مَا بَيْنَ أَبْيَض وَ أَصْفَرَ وَ أَحْمَرَ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْوَانِ الْحَسَنَةِ،

(فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ)

من أمراض عديدة.فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى،

و تمام لطفه بعباده،و أنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره و يدعي سواه.

*** صحيح البخاري

5684 - عَنْ أَبِي سَعِيد: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ:

أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»

ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»

ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»

ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ؟

فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ، وَ كَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ( )

***صحيح البخاري

5683 - عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ: " إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - خَيْرٌ

فَفِــــــي :-

1-شَرْطَةِ مِحْجَمٍ،

2-أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ،

3-أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ،

وَ مَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ "( )

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ)

***إِنَّ فِي إِلْهَامِ اللَّهِ لِهَذِهِ الدَّوَابِّ الضَّعِيفَةِ الْخِلْقَةِ إِلَى السُّلُوكِ فِي هَذِهِ الْمَهَامَةِ وَ الِاجْتِنَاءِ مِنْ سَائِرِ الثِّمَارِ،

ثُمَّ جَمْعِهَا للشمع و العسل، و هو من أطيب الْأَشْيَاءِ

{لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

فِي عَظَمَةِ خَالِقِهَا وَ مُقَدِّرِهَا وَ مُسَخِّرِهَا وَ مُيَسِّرِهَا،

(يشتكي بطنه) أي من ألم أصابه بسبب إسهال حصل له. (صدق الله تعالى) إذ قال {يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس}(كذب بطن أخيك) لم يصلح للشفاء بعد بهذه الكمية التي سقيته إياها (فبرأ) شفي من المرض

(لذعة) إصابة خفيفة.

(توافق الداء) متحقق منها أنها تكون سببا لزوال الداء لا على سبيل التخمين و التجربة]

فَيَسْتَدِلُّونَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ الْفَاعِلُ الْقَادِرُ، الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ.

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ

إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠

يخبر تعالى أنه الذي خلق العباد و نقلهم في الخلقة، طورا بعد طور،

ثم بعد أن يستكملوا آجالهم يتوفاهم،

و منهم من يعمره حتى

(يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ)

أي: أخسه الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة و الباطنة

حتى العقل الذي هو جوهر الإنسان يزيد ضعفه

(لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ)

حتى إنه ينسى ما كان يعلمه، و يصير عقله كعقل الطفل

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ)

أي: قد أحاط علمه و قدرته بجميع الأشياء

و من ذلك ما ينقل به الآدمي من أطوار الخلقة، خلقا بعد خلق كما قال تعالى:

{اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: 54]

***صحيح البخاري

4707 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو:

«أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ وَ الكَسَلِ،وَ أَرْذَلِ العُمُرِ،وَ عَذَابِ القَبْرِ،وَ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَ فِتْنَةِ المَحْيَا وَ المَمَاتِ»

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١

و هذا من أدلة توحيده و قبح الشرك به، يقول تعالى:

كما أنكم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون إلا أنه تعالى

(وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ)

فجعل منكم أحرارا لهم مال و ثروة،

و منكم أرقاء لهم لا يملكون شيئا من الدنيا،

(فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ)

فكما أن سادتهم الذين فضلهم الله عليهم بالرزق ليسوا

(بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ)

*الجلالين:بِجَاعِلِي مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ الأموال و غيرها شركة بينهم و بين مماليكيهم

(فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ)

و يرون هذا من الأمور الممتنعة،

فكذلك من أشركتم بها مع الله،

فإنها عبيد ليس لها من الملك مثقال ذرة،

فكيف تجعلونها شركاء لله تعالى؟!

هل هذا إلا من أعظم الظلم والجحود لنعم الله؟!!

*** يُبَيِّنُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ جَهْلَهُمْ وَ كُفْرَهُمْ فِيمَا زَعَمُوهُ لِلَّهِ مِنَ الشُّرَكَاءِ،
وَ هُمْ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهَا عَبِيدٌ لَهُ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَاتِهِمْ فِي حَجِّهِمْ:
"لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَ مَا مَلَكَ".
فَقَالَ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ:
إِنَّكُمْ لَا تَرْضَوْنَ أَنْ تُسَاوُوا عَبِيدَكُمْ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ،
فَكَيْفَ يَرْضَى هُوَ تَعَالَى بِمُسَاوَاةِ عَبِيدِهِ لَهُ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَ التَّعْظِيمِ،
كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [الروم: 28]

***وَ قَالَ قَتَادَةُ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ،
فَهَلْ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ شَارَكَ مَمْلُوكَهُ فِي زَوْجَتِهِ وَ فِي فِرَاشِهِ،
فَتَعْدِلُونَ بِاللَّهِ خَلْقَهُ وَ عِبَادَهُ؟
فَإِنْ لَمْ تَرْضَ لِنَفْسِكَ هَذَا، فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُنَزَّهَ مِنْكَ.

و لهذا قال: (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)

فلو أقروا بالنعمة و نسبوها إلى من أولاها، لما أشركوا به أحدا.

***أَنَّهُمْ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيبًا،
فَجَحَدُوا نِعْمَتَهُ وَ أَشْرَكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ
وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾

(وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ)

❍يخبر تعالى عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم

(أَزۡوَٰجٗا)

ليسكنوا إليها،

(وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ)

أولادا تقرُّ بهم أعينهم و يخدمونهم،

و يقضون حوائجهم، و ينتفعون بهم من وجوه كثيرة،

(وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ)

و رزقهم من الطيبات من جميع المآكل و المشارب،

و النعم الظاهرة التي لا يقدر العباد أن يحصوها.

(أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ)

***الميسر:أفبالباطل من ألوهية شركائهم يؤمنون،**

❍أي:أيؤمنون بالباطل الذي لم يكن شيئا مذكورا

ثم أوجده الله و ليس له من وجوده سوى العدم

فلا تخلق و لا ترزق و لا تدبر من الأمر شيئا،

و هذا عام لكل ما عبد من دون الله فإنها باطلة

فكيف يتخذها المشركون من دون الله؟!!

(وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ)

❍يجحدونها و يستعينون بها على معاصي الله و الكفر به،

هل هذا إلا من أظلم الظلم و أفجر الفجور و أسفه السفه؟

*** يَسْتُرُونَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ يُضِيفُونَهَا إِلَى غَيْرِهِ.

إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام

الرابط

في قوله تعالى : (و إن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين)

[سورة النحل : الآية 66]

من أبحاث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بتركيا 1432هـ - 2011م

د/حامد عطيه محمد

أستاذ بكلية الطب البيطرى- جامعة الزقازيق- مصر

لقد أدرك البشر منذ زمن بعيد العلاقة بين إدرار اللبن وما يتناوله الحيوان من غذاء، وأن الحيوان يهلك إذا ما حرم من الغذاء،

ولكنهم لم يعرفوا العملية التي يتم بها تحول هذا الغذاء إلى لبن أو لحم أو عظم أو أي مادة أخرى .

وجاء العلم الحديث ليبين لنا مراحل تكوين اللبن خالصاً سائغاً للشاربين فيكشف لنا من آيات الله اللطيف الخبير ما جاء مطابقاً لما أخبرنا به القرآن عن أسرار تكون اللبن في بطون الأنعام ،

ويظهر عظمة إنعام الخالق المنعم على عباده.

المعنى اللغوي:

اختلف المفسرون في معنى الآية الكريمة بسبب اختلافهم في فهم مدلولات بعض الألفاظ فتصور البعض أن عبارة

(من بين)

جاءت للتبعيض أي من بعض الفرث أو من بعض الدم ،

بينما رأى آخرون أنها مكانية أي من مكان بين الدم والفرث .

الإعجاز اللغوي في قوله تعالى:

(وإِنَّ لَكُمْ فِى الأَنْعـامِ لَعِبْرَةً)

ذُكرت (عبرة)

هنا بصيغة «نكرة» حيث تعتبر دليلا على أهميته الفائقة.

وكما يقول الراغب في كتاب المفردات (عِبرَة)

من مادة عَبْر و تعني العبور والانتقال من حالة الى أخرى،

و هنا حيثُ يرى المعتبرُ حالةً يدلكُ من خلالها على حقيقة لا يمكن ملاحظتها أطلقوا على ذلك (عبرة).

و عليه فانَّ مفهوم الآية هو بمقدوركم اَنْ تصلوا الى معرفة الله وعظمة وعلم وقدرة مُبدىء الخلق العظيم من خلال ملاحظة أسرار وعجائب الحيوانات.

مراحل تكون اللبن من بين الفرث و الدم:

يتم تكوين اللبن في الأنعام بالتنسيق المحكم والتدرج الدقيق بين الجهاز الهضمي والجهاز الدوري والجهاز التناسلي عن طريق الغدد اللبنية في الضروع وغيرها من الأجهزة حيث جعل الله لكل جهاز وظيفة وأعمالاً خاصة يقوم بها ليتكون - في نهاية المطاف - اللبن الخالص السائغ للشاربين.

و يمكن أن نجمل مراحل تكون اللبن كالآتي

-1-عملية الهضم فى الكرش(تحول العلف الى فرث):

-2-عملية استخلاص الأحماض الدهنية من بين الفرث:

-3-عملية استخلاص من بين الدم:

يتم تكوين اللبن بواسطة الغدد الثديية أو الضرع عن طريق عمليتين هامتين:

<u>أ- المرحلة الأولى:</u>

ترشيح بعض مكونات اللبن من مجرى الدم

<u>ب- المرحلة الثانية:</u>

تركيب مكونات اللبن الأخرى بواسطة التمثيل الغذائى الخلوى

التركيب التشريحي للضرع:

صمم الخالق(سبحانه وتعالي) ضروع الأنعام و ضروع غيرها من الحيوانات الثديية بحكمه بالغة كي يمكنها من إنتاج اللبن لإرضاع صغارها، واستفادة الإنسان منه.

فضروع الأنعام رباعية التركيب،

وتتدلي أربطه خاصة من الحوض لرفعها وحمايتها مما تتعرض له من صدمات خاصة عندما تمتلئ باللبن، ويثقل وزنها.

استطاع العلماء حديثا معرفة كيف يتكون اللبن في بطون الأنعام بعد أن اكتشاف أسرار الجهاز الهضمي ومعرفة وظائف أعضائه ،

وبعد اكتشاف الدورة الدموية وعلاقتها بعملية امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء ودخولها في الدم،

وقد استغرق ذلك فترة من الزمن لتطوير الأجهزة واكتشاف الأسرار استمرت قرابة خمسة قرون .

يتم تكوين اللبن في الأنعام بالتنسيق المحكم والتدرج الدقيق بين الجهاز الهضمي والجهاز الدوري والجهاز التناسلي عن طريق الغدد اللبنية في الضروع وغيرها من الأجهزة حيث جعل الله لكل جهاز وظيفة وأعمالاً خاصة يقوم بها ليتكون - في نهاية المطاف - اللبن الخالص السائغ للشاربين.

❍يكفى أن نعلم أنه من أجل إنتاج لتر واحد من الحليب في ثدي الحيوان يجب أنْ يمرَّ ما يقارب خمسمائة لتر من الدم خلال هذا العضو كي يتم امتصاص المواد اللازمة من البروتينيات، والكربوهيدرات، والدهون، والعناصر والفيتامينات والهرمونات اللازمة لتكوين ذلك اللتر من اللبن.

استطاع العلماء حديثا معرفة كيف يتكون اللبن في بطون الأنعام بعد أن اكتشاف أسرار الجهاز الهضمي ومعرفة وظائف أعضائه ،

وبعد اكتشاف الدورة الدموية وعلاقتها بعملية امتصاص المواد الغذائية من الأمعاء ودخولها في الدم،

وقد استغرق ذلك فترة من الزمن لتطوير الأجهزة واكتشاف الأسرار استمرت قرابة خمسة قرون.

وجاء العلم الحديث ليبين لنا مراحل تكوين اللبن خالصاً سائغاً للشاربين فيكشف لنا من آيات الله اللطيف الخبير ما جاء مطابقاً لما أخبرنا به القرآن عن أسرار تكون اللبن في بطون الأنعام ، ويظهر عظمة إنعام الخالق المنعم على عباده.

الاعجاز فى (وأوحى ربك الى النحل)

النحل في القرآن

قال تعالى: ﴿وَأَوحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (سورة النحل: الآية 68).

أولا: تفسير الآية

قال ابن كثير: المراد بالوحي هنا، الإلهام والهداية والرشاد للنحل بأن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. قال القرطبي: سمي نحلا لأن الله نَحَّلَهُ العسل الذي يخرج منه؛ قاله الزجاج والجوهري، والنحل والنحلة تقع على الذكر والأنثى، والنحل يؤنث في لغة أهل الحجاز، وروى عن ابن عباس أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل النحلة، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: "**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ النَّمْلَةِ وَ النَّحْلَةِ وَ الْهُدْهُدِ وَالصُّرَدِ**" (مسند أحمد: 2907، وأخرجه أبو داود في الأدب، وابن ماجة في الصيد، والدارمي في الأضاحي).

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: "**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ، أَكَلَتْ طَيِّبًا، وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَلَمْ تَفْسُدْ**" (مسند أحمد: 6577).

والمؤمن بإجماع العلماء أكرم الخلق عند الله عز وجل، وتشبيه المؤمن بالنحلة (أُنظر صورة نحلة) رفع لمكانة هذه الحشرة النافعة، وتقدير من نبي الرحمة ﷺ لجليل ما تقوم به النحلة من أعمال وما تضعه وتصنعه من أدوية ومواد هي في غاية النفع لهذا الإنسان.

ثانياً: أوجه الإعجاز العلمي

كرم الله النحل في كتابه العزيز فأنزل سورة باسمه هي (سورة النحل) للفت الأنظار إلى هذا الكائن العجيب، الذي يعقل ويفكر ويسجد لله ويصلى ويسبح، كان عجباً أن يُوحَي إليه من ربه، ليتخذ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، لقد العلماء استخدم المجهر الإلكتروني في تصوير ملكة النحل والذكور والشغالات وذلك لمعرفة سلوكها، وكيفية إبداعها وإتقانها لعملها، كما صوروا أجزاء مختلفة من جسمها لإظهار

مالا يرى بالعين المجردة (انظر صورة للملكة والذكر والشغالة).

علينا أن نتذكر أنّ كلَّ ما كان يُعْرَف عن النحل في عصر الرسالة وما قبله لا يخرج عن معلومات قليلة مستمدة من النحالين والأطباء، هذه المعلومات تتناول تربية النحل في خلايا محلية، وكيفية انتشارها في الجبال والبراري، وعسلها وأثره في الدواء والغذاء، وشمعها الذي غلب استخدامه في الإضاءة، وإبرها التي تدافع بها عن نفسها وتلسع بها من يقترب من خليتها.

دام الحال هكذا حتى القرن العشرين حين تمكن العالمان C. A. Rosch و Karl Von Frisch من الوصول إلى معرفة دقائق حياة النحل من خلال دراستهما ومراقباتها التي طُبقت على طوائف نحل في خلايا ذات واجهات زجاجية، بعد وضع علامات مائزة على عدد منها فور خروجها من نخاريب الحضانة.

لاحظ هذان العالمان أن هناك فرقاً أساسياً بين الإنسان والنحل في طريقة تقسيم العمل، ذلك أن الإنسان عندما يتخصص بعمل ما فإنه يظل عليه حتى آخر العمر، بينما تغيّر النحلة نشاطها كلما تقدمت في السن طبقاً لخطة ثابتة، تمر من خلالها على جميع أعمال الطائفة، تبدأ حياتها عاملة نظافة وتنتهي جامعة للغذاء.

كما لاحظا أن حياة النحلة في الأحوال الاعتيادية في موسم وضع البيض وفيض العسل في الربيع والصيف تشتمل على مرحلتين، الأولى: يقوم فيها النحل بأعمال منزلية داخل الخلية أطلقا عليها (المرحلة المنزلية)، والثانية: تزاول أعمالاً خارج الخلية في الحقول أطلقا عليها (المرحلة الحقلية).

ولكي نبين أوجه الإعجاز في الآية 68 من سورة النحل، علينا أن نقف أولاً على الحقائق العلمية الآتية:

- مملكة النحل
- مكونات النحلة
- كيف يبنى النحل بيته

1. مملكة النحل

يعيش نحل العسل معيشة اجتماعية راقية منظمة ومنسقة رقياً وتنظيماً وتنسيقاً يفوق الوصف، يعيش في مجتمعات يسمى الواحد منها (خلية . عش . بيت) والقرآن يسميه بيتاً لقوله تعالى: ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾، يسكن في هذا البيت ألوف من النحل ينتمون لنفس نوع جماعة النحل (أُنظر صورة لبيوت النحل)، غير أن أشكالها مختلفة وكذلك مهامها، وهناك أنواع من مجموعات النحل (النحل الاجتماعي . النحل الانفرادي . النحل الطفيلي):

أ. النحل الاجتماعي

أشهر أنواع النحل الاجتماعي (نحل العسل . النحل الزنان . النحل الطنان) يعيش في أعشاش جماعية، ويوجد في كل عش جماعة أو مجتمع قد يصل عددها إلى خمسين ألف نحلة، وحين تبيض الملكة فقد يصل عدد بيضها إلى ألفي بيضة/ يوميا، (أكبر عدد من أعشاش نحل العسل هو 104 آلاف عش، عثر عليها في مساحة 1187 $م^2$)

ب. النحل الانفرادي

هذا النوع لا يعيش في مجتمعات أو تجمعات، وإنما يعيش منعزلا عن بعضه، وتحفر النحلة حفرة في الأرض أو في جزع شجرة لتكون عشا لها، وحتى إذا تجاورت تلك الأعشاش فلا يوجد بينها أي شكل من أشكال التنظيم الجماعي كما في النحل الاجتماعي. ويفضل هذا النوع الأرض الجرداء الجافة التي لا تتعرض للشمس كثيرا، وقد تنتشر أعشاشه تحت سطح الأرض في مساحة كبيرة، (عثر على أعشاش لهذا النوع تقدر بـ12 مليون عش، منتشرة على مساحة 360 ألف $م^2$، وتمتد بطول 7 كم على ضفة نهر باريش بالاتحاد السوفيتي القديم).

ج. النحل الطفيلي

هو نوع من النحل يتطفل على مجموعات من النحل الأخرى، حيث يستولي على بيض ويرقات أنواع النحل الأخرى، ثم يبيض ويضع بيضه في خلية نوع آخر من النحل.

د. أشهر أنواع النحل في العالم

(1) **النحل الأصفر:** توجد سلالاته في مصر وسورية وتركيا وقبرص وإيطاليا.(النحلة الإيطالية بطنها ذهبي اللون، وشعر الجسم أشقر، تنتج أفرادا بكثرة وقادرة على مواجهة الظروف الجوية السيئة).

(2) **النحل الأسود:** توجد سلالاته في فرنسا وسويسرا وألمانيا وشمال غرب أوروبا وشمال أفريقيا.

(3) **النحل السنجابي:** يوجد منه النحل القوقازي والكارونيلي (النحل القوقازي أصلها منطقة القوقاز جنوب روسيا لونها برونزي فاتح، تدافع عن خليتها بجسارة- أما النحل الكارونيلي فهو موجود في يوغسلافيا، بطنها رمادي فيه ثلاث شدفات بيض، شعرها أشقر، وديعة جدا يمكن التعامل معها بدون قناع أو قفاز).

إن النحل كائن عجيب لقد اكتشف العالم "فون فريش" أن النحل يتفاهم عن طريق الرقص وأن له لغة, وقد نال جائزة نوبل تقديراً لاكتشافه المثير، إن شغالات نحل العسل هي التي تقوم بجمع الرحيق وحبوب اللقاح، ولكي تخبر بقية الشغالات عن مكان الزهور التي زارتها وكميتها ونوعها, فإنها تعبر عن ذلك بالرقص في الخلية، فإذا رقصت النحلة في خط مستقيم فمعنى ذلك أن الزهور في اتجاه الشمس, وأما إذا رقصت ناحية الاتجاه المعاكس فمعنى ذلك أن الزهور عكس اتجاه الشمس, أما إذا كان اتجاه الرقص ناحية اليمين فمعنى ذلك أن الزهور تقع بزاوية 90 درجة من الجهة اليمنى, وإذا رقصت بزاوية ميل 45 درجة فهذا يعني أن زاوية الميل للزهور عن الشمس تساوي 45 درجة.

والعجيب أن النحل يراعى حركة الشمس عند حساب الاتجاه، فمن المعروف أن الشمس تغير اتجاهها بمقدار درجة ناحية الغرب كل أربع دقائق, والنحلة تراعى هذا الانحراف الزاوي المتغير بالنسبة لحركة الشمس أولا بأول عند تحديدها اتجاه الزهور، والنحلة القائمة بمهمة التبليغ (النحلة المخبرة) تُعْبِر عن المسافة بزمن الرقص, وتعبر عن كم الزهور بتسارع اهتزازات جسمها أو تقليله، ولتحديد نوع الزهور فإن

النحلة تطبع رائحة الزهور في فمها حتى يتعرف عليها بقية الأفراد عند رجوعها إلى الخلية (أنظر صورة لنحلة مخبرة).

وتتكون كل خلية من:

(1) **الملكة:** هي الأنثى الكاملة التكوين، وهى الوحيدة القادرة على إنتاج البيض، جسمها أضخم من جسم الشغالة، وأطول من الذكر، أجنحتها قصيرة وصدرها عريض، عيناها متباعدتان وقرناها منحنيان، خرطومها قصير وأرجلها الخلفية ليست كأرجل الشغالة، وبعد خروج العذراء من الشرنقة تتغذى لبضعة أيام على العسل وتعاملها الشغالات بقسوة لتدفعها إلى الخروج للتزاوج، تقف العذراء على مدخل الخلية وتصدر أزيزا لا يكاد يسمعه النحال على بعد خطوات بينما تسمعه الذكور على بعد عدة كيلومترات، فتأتي سريعاً، وعندما يجتمع عدد كاف تطير العذراء في رحلة تسمى الزفاف الملكي وتندفع الذكور وراءها ويتم التلقيح في الجو وتعود العذراء إلى الخلية وقد أصبحت ملكة.

(2) **الذكر:** جسمه ممتلئ يكسوه وبر، خرطومه قصير وأجنحته لا يزيد طولها عن طول الجسم، قرون استشعاره مستقيمة، عيناه تقعان في قمة رأسه مهمته تلقيح الملكة ويموت بعد عملية التلقيح. فمصير الذكور هو الموت عند باب الخلية بعد انتهاء مهمته فليس للذكور أي عمل مفيد، كما أنها لا تملك أداة لسع لتدافع عن الخلية أو حتى عن نفسها. إن دور الذكور يعد إذن ثانويا في عالم النحل.

(3) **الشغالة:** الشغالات تعد إناثا عقيمة ضامرة الجهاز التناسلي، وهي تقوم بكل الأعمال اللازمة فهي ترعى الملكة وتلعقها وتنظفها وتحميها وتغذيها بالغذاء الملكي من غدد تفرزها من رؤوسها، كما تعمل على حراسة الخلية وقتال أعداء النحل، كما تعمل على جمع الماء والرحيق وحبوب اللقاح وتقوم ببناء الأقراص الشمعية التي تربي فيها الصغار، وتخزن فيها العسل وحبوب اللقاح، كما ترعى الحضنة وتغذيها وتلطف جو الخلية بالتهوية بالأجنحة... إلخ، فالشغالة إذا هي محور عمل الخلية.

تستطيع النحلة أن تقرأ المغناطيسية الأرضية (وتحدد الشمال والجنوب للأرض)، يوجد كائنات أخرى تستطيع ذلك مثل الدلافين والطيور, إلا أن النحل يستطيع تحديد المغناطيسية الأرضية بكل دقة أكثر من أي كائن آخر على الإطلاق، وذلل الله لها ذلك لكي تستطيع أن تخرج وتعود إلى بيتها دون أن تضل. ولكن كيف تفعل ذلك وما الذي يساعدها؟، يوجد على بطن النحلة ملايين البلورات المغناطيسية توجد داخل خلايا يطلق عليها (تروفوسيت) تتصل بالجهاز العصبي في مخ النحلة، وهي التي تحدد الاتجاهات المغناطيسية للأرض, لكي تعرف النحلة طريقها بكل سهولة.

2. مكونات النحلة

أ. مكونات الجسم

النحلة حشرة لها رأس وصدر وبطن، وهى من رتبة الحشرات ذوات الأجنحة الغشائية، ورأسها يحمل قرنين في الأمام وعينين كبيرتين وفماً، وأما الصدر فهو المنطقة التي تلي الرأس، وهو م

إلى ثلاثة أجزاء متوالية ملتحمة مع بعضها، ويحمل كل جزء (عقلة . حلقة . شدفة) زوجا من الأرجل، ثم تحمل الشدفة الثانية والثالثة زوجا من الأجنحة لكل منهما، وينتهي الجسم ببطن مقسمة إلى شدف، وفى نهايتها آلة لسع تسمى "اللاسعة" تلدغ بها من يهاجمها أو يريد إلحاق الضرر بها.

ب. مكونات أجهزة النحلة

(1) **حاسة الشم:**(أنظر صورة قرن استشعار نحلة): يتركب قرن الاستشعار في النحلة من 12 عقلة كل عقلة تحتوي على مئات الخلايا أو الشعيرات الحسية الدقيقة والتي تنقسم إلى نوعين: **مستقبلات المؤثرات الكيميائية** (هذه المستقبلات تقوم بوظيفة الأنف في الإنسان), حيث تستطيع النحلة عن طريقها تمييز رائحة ألف زهرة أو أكثر, بل وتحتفظ برائحة هذه الزهور في ذاكرتها في المخ – **مستقبلات المؤثرات الميكانيكية** (هذه المستقبلات تقوم بوظيفة الأذن في الإنسان, حيث تقوم باستقبال الذبذبات والترددات في الهواء وتقوم بنقله إلى مخ النحلة الذي يترجمها إلى أصوات. تستطيع هذه الشعيرات أيضاً قياس الضغط الخارجي وضغط الجسم.

(2) **حاسة السمع:** الغريب في وظيفة الشعيرات الخاصة بالسمع هو استخدامها في تصنيع أقراص الشمع داخل الخلية لكي تضع الملكة فيها البيض، حيث تقيس سُمك قرص الشمع الذي سوف تضع فيه الملكة البيض، فسُمك قرص الشمع للملكات يختلف عن الذكور والشغالات، تستطيع الذكور أيضا بهذه الحاسة تتبع الملكة ومعرفة مكانها أثناء طيران العرس (التلقيح) وذلك عن طريق استقبال ذبذبات أجنحتها.

(3) **حاسة اللمس:** تستطيع النحلة أن تحس بنعومة الأسطح أو خشونتها أو ارتفاعها أو انخفاضها كل ذلك تحدده بدقة مثل الإنسان تماماً عن طريق استخدام الشعيرات الدقيقة لمستقبلات المؤثرات الميكانيكية.

(4) **حاسة البصر أو الرؤية** (أُنظر صورة عين نحلة)**:** تستطيع النحلة أن ترى عن طريق زوج من العيون المركبة وثلاثة أعين بسيطة توجد في منتصف الرأس، تحتوى كل عين مركبة على 4500 عيينة صغيرة, كل عيينة صغيرة تتركب من 9 خلايا مستقبلات للضوء تشبه شبكية عين الإنسان: خليتان منها لاستقبال الضوء الأخضر, وخليتان لاستقبال الضوء الأزرق, وخليتان لاستقبال الاشعة فوق البنفسجية, وخليتان لاستقبال خليط من الضوء، واخيرا خلية واحدة ترى الضوء المستقطب والأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من الشمس من خلال السحاب الركامي، وفي حالة نظر النحلة إلى أسفل فإن هاتين الخليتين تكونان حساستين للون الأخضر, أما إذا نظرت لأعلى فإن هاتين الخليتين تكونان حساستين للأشعة فوق البنفسجية.

(5). **فم النحلة** (أُنظر صورة فم نحلة)**:** يتركب فم النحلة من عدة أجزاء قارضة لاعقه (شفة عليا . شفة سفلي . فك علوي . فك سفلي) تستخدم النحلة فمها في قرض الزهور كي تستطيع الدخول إلى الرحيق في وسط الزهرة, وعندما تنطبق أجزاء الفم هذه على بعضها فإنها تكون خرطوما ماصا أنبوبياً قوياً ، يمكن أن يدخل في الأزهار بعمق.

(6) **حاسة التذوق:** تستطيع النحلة أن تفرق بين طعم رحيق الزهور المختلفة, فهي تميز الطعام الحلو, اللاذع, الحمضي وكذا كريه الرائحة. لقد خلق الله ﷻ لها أنواعا من الخلايا الحسية الدقيقة على ملمس الشفاه ولسانها وهي تشبه خلايا التذوق في الإنسان.

3. كيف يبنى النحل بيته

يقول العلماء حقائق علمية مدهشة!!، تؤكد عظمة القرآن وإعجازه، في كل العصور، لقد خلق الله ﷻ للنحلة آلة هندسية رائعة تشبه المنقلة الهندسية توجد في منطقة العنق، وهى عبارة عن غشاء مفصلي يربط بين الصدر والبطن، هذا الغشاء يسمح للنحلة أن تحرك كل من الصدر والبطن بحرية كاملة، وعندما تريد النحلة رسم الشكل السداسي لأقراص الشمع في الخلية, فإن هذه الآلة تتحكم في حركة أرجل النحلة وتوجه أرجلها لترسم الشكل الهندسي السداسي بكل دقة (أُنظر صورة خلايا سداسية)، ومن المعروف في علم الهندسة والرياضيات أن الشكل السداسي هو أكثر الأشكال الهندسية دقة من حيث عدم ترك أي مساحات خالية إذا رسم بجانب أشكال سداسية أخرى.

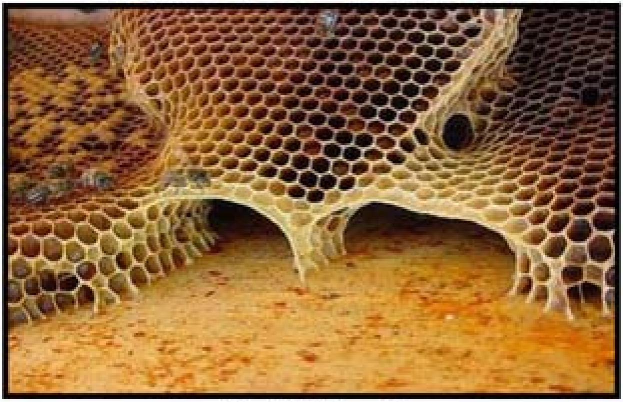
تصنع النحلة حجرات تخزين العسل مائلة 13 درجة. وذلك لأن درجة الميل لو كانت أكثر من ذلك فإن العسل سيتجمع أسفل القرص ويكون من الصعب على النحل أن يحصل عليه, ولو كانت درجة الميل أقل من ذلك فإن العسل يمكن أن ينساب خارج الأقراص.

تستخدم النحلة خاصية الاتزان لتهيئة الجسم للوضع المثالي أثناء الطيران, وذلك عن طريق الآلة الهندسية التي توجد في العنق، وعن طريقها تستطيع النحلة أن تتحكم في حركة رأسها, لكي تستطيع الطيران في وضع عمودي أو مستقيم فيسهل لها بناء بيتها بدقة.

يحافظ النحل على درجة الحرارة ثابتة عند 32 درجة مئوية داخل الخلية وذلك لمدة 10 شهور, ولبقاء درجة الحرارة ثابتة فإن مجموعة من النحل تقوم بوظيفة التبريد بأجنحة كالمراوح, وغايتها في ذلك توزيع الهواء وتخليص الخلية من بخار الماء الزائد والهواء الملوث والدخان، أيضاً فإن ثبات درجة الحرارة عند 32 درجة مئوية يسمح للشغالات بعمل أقراص الشمع بسهولة.

يقول العلماء توجد في الخلية أقراص الشمع وهى الأشياء الأساسية في بناء بيت النحل، فمنها تُنشئ المخازن والغرف (مخازن العسل والخبز . وغرف تربية الصغار وغيرها من الغرف) والشغالة هي التي تتولى صنع أقراص الشمع؛ حيث تفرز من بطنها شمعا يكون في البداية سائلا ثم يجف ويتصلب بتعرضه للهواء، تمضغ الشغالة هذا الشمع بفكها ثم تبنى به حجرات أو غرف عبارة عن عيون سداسية الشكل لها قعر محدب، وتتصل العيون ببعضها غير أن بعض العيون تكون ضيقة وبعضها يكون متسعا طبقا لما بني له، فالعيون الضيقة تخصص لوضع البيض، وأما العيون المتسعة فأكبرها يخصص لبيض الملكة، كما أن العيون التي تربى فيها الذكور أكبر من عيون الشغالات وأصغر من عيون الملكات، والخلية الملكية توضع في أطراف الخلية.

صورة



أحد بيوت النحل الجبلية

صورة



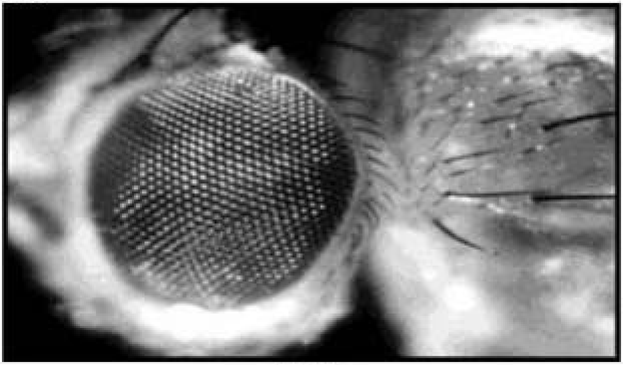
النحلة تصنع بيتا سداسي الأشكال

صورة



الملكة والذكر والشغالة

صورة



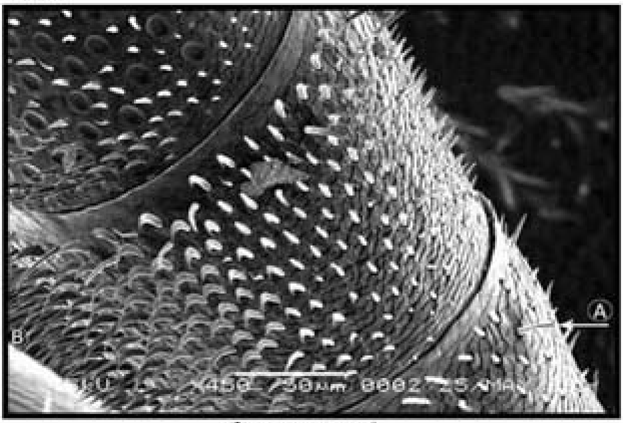
عين النحلة

صورة



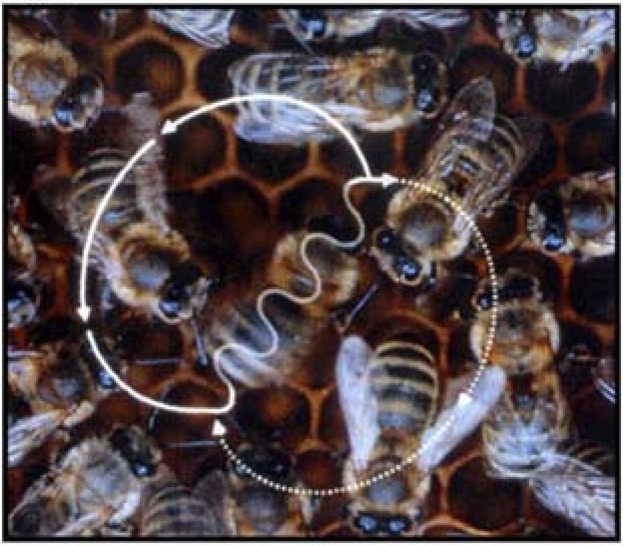
فم نحلة

صورة



قرن استشعار نحلة

صورة



نحلة مخبرة

وأقراص الشمع في خلايا النحل الجبلية أو التي على الأشجار يختلف مكان وجودها في الخلية، فالأقراص المخصصة لتربية الصغار تكون معلقة في السقف، أما الأقراص المخصصة لتخزين العسل وغبار الطلع تغلق عيونها بقطع من الشمع لحفظ ما يوجد بها من التبخر والفساد.

4. الخلاصة

مما سبق وبعد عرض تلك الحقائق العلمية المهمة يتبين مدي الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿وَأَوحَى رَبُّكَ إِلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (سورة النحل: الآية 68). فلم تكن تلك المعلومات متاحة عند المسلمين منذ 1400 سنة كما هي متاحة الآن، لتؤكد أن الذي أوجد تلك الحقائق العلمية عن النحل وبيوت النحل، هو الذي أنزل هذا القرآن الكريم، وهو الذي أوحى إلى عبده ورسوله محمدا ﷺ بتلك المعلومات العجيبة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، قبل أن يكتشفها العلماء الآن بهذه الدقة.

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
(٧٣) فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (٧٤) ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا
مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ
هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ
أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ
بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٧٦) وَلِلَّهِ غَيۡبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٧٧) وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (٧٨) أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ
مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٧٩)

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
(٧٣) فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (٧٤) ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا
مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ
هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ

أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ
بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦

(وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

يخبر تعالى عن جهل المشركين و ظلمهم أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله،

(مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ)

و الحال أنهم لا يملكون لهم

(رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا)

فلا ينزلون مطرا،و لا رزقا و لا ينبتون من نبات الأرض شيئا،

و لا يملكون مثقال ذرة في السماوات و الأرض

(وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ)

لو أرادوا،

فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة و اقتدار على ما ينفع من يتصل به،

و هؤلاء لا يملكون و لا يقدرون.

فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله،

و شبهوها بمالك الأرض و السماوات الذي له الملك كله و الحمد كله

و القوة كلهـــــــا ؟!!

و لهذا قال: (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ)

المتضمنة للتسوية بينه و بين خلقه

(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

فعلينا أن لا نقول عليه بلا علم و أن نسمع ما ضربه العليم من الأمثال

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

الصحيح المسند من أسباب النزول

ابن جرير ج 4 ط 151 عن ابن عباس في قوله عز وجل

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا} **قال:**

نزلت في رجل من قريش وعبده،

و في قوله {مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ}

إلى قوله {وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

قال هو عثمان بن عفان، قال:

و الأبكم الذي أينما يوجهه لا يأتي بخير،

ذاك مولى عثمان بن عفان كان عثمان ينفق عليه و يكفله و يكفيه المؤونة،

و كان الآخر يكره الإسلام و يأباه، و ينهاه عن الصدقة و المعروف فنزلت فيهما.

فلهذا ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾

ضرب تعالى مثلين له و لمن يعبد من دونه، أحدهما

﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا﴾

أي: رقيق

﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾

لا يملك نفسه و لا يملك من المال و الدنيا شيئا،

﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا﴾

و الثاني حرٌّ غنيٌّ قد رزقه الله منه

﴿رِزۡقًا حَسَنٗا﴾

من جميع أصناف المال و هو كريم محب للإحسان،

﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ﴾

هل يستوي هذا و ذاك؟!

لا يستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استواؤهما.

○فإذا كانا لا يستويان،

فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك و لا قدرة و لا استطاعة،

بل هو فقير من جميع الوجوه بالرب الخالق المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء؟!!

و لهذا حمد نفسه و اختص بالحمد بأنواعه

فقال: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ)

فكأنه قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم سوَّى المشركون آلهتهم بالله؟

قال: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

فلو علموا حقيقة العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم.

(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا)

و المثل الثاني مثل

(رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ)

لا يسمع و لا ينطق

و (لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ)

لا قليل و لا كثير

(وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ)

أي: يخدمه مولاه،و لا يستطيع هو أن يخدم نفسه فهو ناقص من كل وجه

(أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ)

***يبعثه

(لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ)

فهل يستوي هذا

(وَمَن)

كان

(يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ)

فأقواله عدل

(وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)

و أفعاله مستقيمة،

فكما أنهما لا يستويان فلا يستوي من عبد من دون الله

و هو لا يقدر على شيء من مصالحه،

فلولا قيام الله بها لم يستطع شيئا منها،

و لا يكون كفوا و ندا لمن لا يقول إلا الحق، و لا يفعل إلا ما يحمد عليه.

وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧

(وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)

أي: هو تعالى المنفرد بغيب السماوات و الأرض،

فلا يعلم الخفايا و البواطن والأسرار إلا هو،

(وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ)

و من ذلك علم الساعة فلا يدري أحد متى تأتي إلا الله،

فإذا جاءت و تجلت لم تكن

(إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ)

*الميسر:إلا كنظرة سريعة بالبصر

(أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ)

*الميسر:بل هو أسرع من ذلك.

من ذلك فيقوم الناس من قبورهم إلى يوم بعثهم و نشورهم و تفوت الفرص لمن يريد الإمهال،

***كقوله {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فَيَكُونُ مَا يُرِيدُ كَطَرْفِ الْعَيْنِ

كَمَا قَالَ: {مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لُقْمَانَ: 28]

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)

فلا يستغرب على قدرته الشاملة إحياؤه للموتى.

وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨

(وَٱللَّهُ)

أي: هو المنفرد بهذه النعم حيث

(أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا)

و لا تقدرون على شيء ثم إنه

(وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ)

خص هذه الأعضاء الثلاثة، لـــــــ:-

1-شرفهـــــا و فضلهـــــا

2-و لأنهـــــا مفتاح لكل علم،

فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة

و إلا فسائر الأعضاء و القوى الظاهرة و الباطنة هو الذي أعطاهم إياها،

و جعل ينميها فيهم شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به،

(لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)

و ذلك لأجل أن يشكروا الله،

باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله،

فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه و قابل النعمة بأقبح المقابلة.

***ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى منَّته عَلَى عِبَادِهِ، فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ لَا يعلمون شيئًا،

ثم بعد هَذَا يَرْزُقُهُمْ تَعَالَى السَّمْعَ الَّذِي بِهِ يُدْرِكُونَ الْأَصْوَاتَ،

وَ الْأَبْصَارَ اللَّاتِي بِهَا يُحِسُّونَ الْمَرْئِيَّاتِ،

وَ الْأَفْئِدَةَ -وَهِيَ الْعُقُولُ-الَّتِي مَرْكَزُهَا الْقَلْبُ عَلَى الصَّحِيحِ،

وَ قِيلَ: الدِّمَاغُ وَ الْعَقْلُ بِهِ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ ضَارِّهَا وَنَافِعِهَا.
وَ هَذِهِ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى التَّدْرِيجِ قَلِيلًا قَلِيلًا كُلَّمَا كَبِرَ زِيد فِي سَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ وَ عَقْلِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ.
وَ إِنَّمَا جَعَلَ تَعَالَى هَذِهِ فِي الْإِنْسَانِ، لِيَتَمَكَّنَ بِهَا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ تَعَالَى، فَيَسْتَعِينُ بِكُلِّ جَارِحَةٍ وَ عُضْوٍ وَ قُوَّةٍ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ
كما جاء في الحديث
صحيح البخاري
6502 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ،
وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،
وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،
فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ،
وَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،
وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،
وَ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،
وَ إِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ،
وَ لَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،
وَ مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ،
يَكْرَهُ المَوْتَ وَ أَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "( )

(وليا) هو العالم بدين الله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته. (آذنته بالحرب) أعلمته بالهلاك والنكال. (مما افترضت عليه) من الفروض العينية وفروض الكفاية. (كنت سمعه. .) أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك وأوفقه لما فيه خيره وصلاحه وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد. (استعاذني) استجار بي مما يخاف

فَمَعْنَى الْحَدِيث:-
أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْلَصَ الطَّاعَةَ صَارَتْ أَفْعَالُهُ كُلُّهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا اللَّهَ،
وَ لَا يُبْصِرُ إِلَّا اللَّهَ، أَيْ: مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُ،
وَ لَا يَبْطِشُ وَ لَا يَمْشِي إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ؛
وَ لِهَذَا جَاءَ فِي بَعْضِ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ، بَعْدَ قَوْلِهِ:
"وَ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا":
"فَبِي يَسْمَعُ، وَ بِي يُبْصِرُ، وَ بِي يَبْطِشُ، وَ بِي يَمْشِي"
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}
كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}
[الْمُلْك: 23، 24]

أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾

(أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ)

و وجه الآية فيها أن الله تعالى خلقها بخلقة تصلح للطيران،

ثم سخر لها هذا الهواء اللطيف

(مساءته) إساءته بفعل ما يكره]

ثم أودع فيها من قوة الحركة و ما قدرت به على ذلك،

و ذلك دليل على كمال حكمته و علمه الواسع و عنايته الربانية بجميع مخلوقاته و كمال اقتداره، تبارك الله رب العالمين.

(مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ)

*الميسر:ما يمسكهن عن الوقوع إلا هو سبحانه بما خَلَقه لها، وأقدرها عليه

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ)

*الميسر:إن في ذلك التذليل و الإمساك

(لَأٓيَٰتٖ)

*الميسر:لدلالات

(لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

*الميسر:بما يرونه من الأدلة على قدرة الله.

أي: لأنهم المنتفعون بآيات الله المتفكرون فيما جعلت آية عليه،

و أما غيرهم فإن نظرهم نظر لهو و غفلة،

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ
ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا
وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ
نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾
يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ
مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ
وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ
ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا

وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ
نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾
يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

يذكر تعالى عباده نعمه، و يستدعي منهم شكرها و الاعتراف بها فقال:

(وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا)

***الميسر:راحة واستقراراً مع أهلكم**

○في الدور و القصور و نحوها تكنُّكم من الحر و البرد

و تستركم أنتم و أولادكم و أمتعتكم،

و تتخذون فيها الغرف و البيوت التي هي لأنواع منافعكم و مصالحكم

و فيها حفظ لأموالكم و حرمكم وغير ذلك من الفوائد المشاهدة،

(وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ)

إما من الجلد نفسه أو مما نبت عليه، من صوف و شعر و وبر.

(بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا)

أي: خفيفة الحمل تكون لكم في السفر و المنازل التي لا قصد لكم في استيطانها،

(يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ)

***الجلالين:سفركم**

(وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡۙ)

فتقيكم من الحر و البرد و المطر،

و تقي متاعكم من المطر،

(وَ) جعل لكم

(وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا)

أي: الأنعام

***الغنم

(وَأَوۡبَارِهَا)

***الإبل

(وَأَشۡعَارِهَآ)

*** أَيِ: الْمَعْزِ -وَ الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْأَنْعَامِ-

(أَثَٰثٗا)

و هذا شامل لكل ما يتخذ منها من الآنية و الأوعية و الفرش و الألبسة و الأجلة، و غير ذلك.

*** فَإِنَّهُ يُتَّخَذُ مِنَه الْأَثَاثِ الْبُسُطُ وَ الثِّيَابُ وَ غَيْرُ ذَلِكَ،وَ يُتَّخَذُ مَالًا وَ تِجَارَةً.

(وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ)

أي: تتمتعون بذلك في هذه الدنيا و تنتفعون بها،

فهذا مما سخر الله العباد لصنعته و عمله.

(وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ)

أي: من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها،

(ظِلَٰلًا)

و ذلك كأظلة الأشجار و الجبال و الآكام و نحوها

(وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا)

أي: مغارات تكنكم من الحر و البرد و الأمطار و الأعداء.

(وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ)

أي: ألبسة و ثيابا

*** وَ هِيَ الثِّيَابُ مِنَ الْقُطْنِ وَ الْكَتَّانِ وَ الصُّوفِ

(تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ)

و لم يذكر الله البرد لأنه قد تقدم أن هذه السورة أولها في أصول النعم

و آخرها في مكملاتها و متمماتها،

و وقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة،

و قد ذكره في أولها في قوله{لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ} [النحل: 5]

(وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ)

أي: و ثيابا تقيكم وقت البأس و الحرب من السلاح،

و ذلك كالدروع و الزرد و نحوها،

(كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ)

حيث أسبغ عليكم من نعمه ما لا يدخل تحت الحصر

(لَعَلَّكُمۡ)

إذا ذكرتم نعمة الله و رأيتموها غامرة لكم من كل وجه

(تُسۡلِمُونَ)

لعظمته و تنقادون لأمره، و تصرفونها في طاعة موليها و مسديها،

❍فكثرة النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر ،

و الثناء بها على الله تعالى، و لكن أبى الظالمون إلا تمردا و عنادا.

و لهذا قال الله عنهم: (فَإِن تَوَلَّوۡاْ)

عن الله و عن طاعته بعد ما ذُكِّروا بنعمه و آياته،

***بعد هذا البيان و هذا الامتنان فلا عليك منهم

(فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ)

أي: ليس عليك من هدايتهم و توفيقهم شيء

بل أنت مطالب بالوعظ و التذكير و الإنذار و التحذير،

فإذا أديت ما عليك، فحسابهم على الله فإنهم يرون الإحسان،

(يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا)

و يعرفون نعمة الله، و لكنهم ينكرونها و يجحدونها،

(وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ)

لا خير فيهم، و ما ينفعهم توالي الآيات،

لفساد مشاعرهم و سوء قصودهم

و سيرون جزاء الله لكل جبار عنيد كفور للنعم متمرد على الله و على رسله.

وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾

وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ

أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ

إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ

وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

يخبر تعالى عن حال الذين كفروا في يوم القيامة

و أنه لا يقبل لهم عذر و لا يرفع عنهم العقاب

و أن شركاءهم تتبرأ منهم و يقرون على أنفسهم بالكفر و الافتراء على الله

فقال: (وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا)

يشهد عليهم بأعمالهم و ماذا أجابوا به الداعي إلى الهدى

و ذلك الشهيد الذي يبعثه الله أزكى الشهداء و أعدلهم

و هم الرسل الذين إذا شهدوا تم عليهم الحكم

(ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

في الاعتذار لأن اعتذارهم بعد ما علم يقينا بطلان ما هم عليه،

اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئا

*** كَمَا قَالَ:{هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ}

[الْمُرْسَلَاتِ: 35، 36]

(وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ)

و إن طلبوا أيضا الرجوع إلى الدنيا ليستدركوا لم يجابوا و لم يعتبوا

***الميسر :و لا يُطْلب منهم إرضاءُ ربهم بالتوبة و العمل الصالح، فقد مضى أوان ذلك.**

(وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا)

***الذين أشركوا

(ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ)

الذي لا يخفف عنهم

(وَلَاهُمْ يُنظَرُونَ)

بل يبادرهم العذاب الشديد من غير إنظار و لا إمهال من حين يرونه

لأنهـــــــم لا حساب عليهم لأنهم لا حسنات لهم

و إنما تعد أعمالهم و تحصى و يوقفون عليها و يقرون بها و يفتضحون.

(وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ)

*الميسر:آلهتهم التي عبدوها مع الله

○يوم القيامة و علموا بطلانها و لم يمكنهم الإنكار.

(قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ)

ليس عندها نفع و لا شفع، فنوَّهوا بأنفسهم ببطلانها،

و كفروا بها، و بدت البغضاء و العداوة بينهم و بينها،

(فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ)

أي: ردت عليهم شركاؤهم قولهم، فقالت لهم:

(إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ)

حيث جعلتمونا شركاء لله، و عبدتمونا معه فلم نأمركم بذلك،

و لا زعمنا أن فينا استحقاقا للألوهية فاللوم عليكم.

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الْأَحْقَافِ: 5، 6]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مَرْيَمَ: 81، 82]

وَ قَالَ الْخَلِيلُ عليه السلام:

{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الْعَنْكَبُوتِ: 25]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَايِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا} [الْكَهْفِ: 52] وَ الْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

(وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ)

فحينئذ استسلموا لله، و خضعوا لحكمه و علموا إنهم مستحقون للعذاب.

***اسْتَسْلَمُوا لِلَّهِ جَمِيعِهِمْ، فَلَا أَحَدَ إِلَّا سَامِعٌ مُطِيعٌ،

*** كَمَا قَالَ: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا} [مَرْيَمَ: 38]

أَيْ: مَا أَسْمَعَهُمْ وَ مَا أَبْصَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ! وَ قَالَ تَعَالَى:

{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: 12]

و قال: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [طه: 111]

أَيْ: خَضَعَتْ وَ ذَلَّتْ وَ اسْتَكَانَتْ وَ أَنَابَتْ وَ اسْتَسْلَمَتْ.

(وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ)

***الميسر:و غاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الأكاذيب، و أن آلهتهم تشفع لهم.**

○فدخلوا النار و قد امتلأت قلوبهم من مقت أنفسهم و من حمد ربهم و أنه لم يعاقبهم إلا بما كسبوا.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ
يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ
ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ
ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ
كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ
أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا
يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ
وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ
يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾

حيث كفروا بأنفسهم، و كذبوا بآيات الله، و حاربوا رسله،

و صدوا الناس عن سبيل الله،

و صاروا دعاة إلى الضلال فاستحقوا مضاعفة العذاب،

كما تضاعف جرمهم، و كما أفسدوا في أرض الله.
***عَذَابًا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَ عَذَابًا عَلَى صَدِّهِمُ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} [الْأَنْعَامِ: 26]
أَيْ:يَنْهَوْنَ النَّاسَ، عَنِ اتِّبَاعِهِ، وَ يَبْتَعِدُونَ هُمْ مِنْهُ أَيْضًا
{وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [الأنعام: 26]
***وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَفَاوُتِ الْكُفَّارِ فِي عَذَابِهِمْ،
كَمَا يَتَفَاوَتُ الْمُؤْمِنُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَ دَرَجَاتِهِمْ،
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ} [الْأَعْرَافِ: 38]

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩

(وَيَوْمَ نَبْعَثُ)

لما ذكر فيما تقدم أنه يبعث

(فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ)

ذكر ذلك أيضا هنا، و خص منهم هذا الرسول الكريم فقال:

(وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ)

أي: على أمتك تشهد عليهم بالخير و الشر،

و هذا من كمال عدل الله تعالى أن كل رسول يشهد على أمته لأنـــــه

أعظم اطلاعا من غيره على أعمال أمته،

و أعدل و أشفق من أن يشهد عليهم إلا بما يستحقون.

و هذا كقوله تعالى(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)

و قال تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ)

و قوله: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ)

في أصول الدين و فروعه، و في أحكام الدارين و كل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية،

○حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، و إعادتها في كل ساعة، و يعيدها و يبديها بألفاظ مختلفة و أدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير و البر بحسب ثبوتها في القلب،

○و حتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة و الأساس،

○و اعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية و ما فيها من أنواع الأوامر و النواهي التي لا تحصى،

○فلما كان هذا القرآن تبيانا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم.

فانقطعت به حجة الظالمين و انتفع به المسلمون

(وَهُدًى)

فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم و دنياهم،

فالهدى ما نالوه به من علم نافع و عمل صالح.

(وَرَحْمَةً)

ينالون به كل خير في الدنيا و الآخرة.

❍و الرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا و الآخرة،

كـــــــــــ:-

صلاح القلب و بـــــره و طمـــــأنينته،

و تمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني و أعلاها،

و الأعمال الكريمة و الأخلاق الفاضلة، و الرزق الواسع و النصر على الأعداء بالقول و الفعل

و نيل رضا الله تعالى و كرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم.

(وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ)

*الميسر:و بشارة طيبة للمؤمنين بحسن مصيرهم.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

(إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ)

فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه و في حق عباده،

❍فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية و البدنية و المركبة منهما في حقه و حق عباده،

❍و يعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، و ولاية القضاء و نواب الخليفة، و نواب القاضي.

❍و العدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، و على لسان رسوله،
و أمرهم بسلوكه،

❍و من العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع و الشراء
و سائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا و لا تغشهم
و لا تخدعهم و تظلمهم.

فالعدل واجب،

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}
[النَّحْلِ: 126]

(وَٱلْإِحْسَٰنِ)

*الميسر:و يأمر بالإحسان في حقه بعبادته و أداء فرائضه على الوجه المشروع،

✡و إلى الخلق في الأقوال و الأفعال،

فضيلة مستحب

و ذلك كنفع الناس بالمال و البدن و العلم،

و غير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول و غيره.

و خص الله (وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ)

–و إن كان داخلا في العموم– لتأكد حقهم و تعين صلتهم و برهم،

و الحرص على ذلك.

و يدخل في ذلك جميع الأقارب قريبهم و بعيدهم

لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر.

و قوله: (وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ)

***المحرمات

⭘و هو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع و الفطـــــــر كــــــــ:–

الشرك بالله و القتل بغير حق و الزنا و السرقة و العجب و الكبر

و احتقار الخلق و غير ذلك من الفواحش.

(وَٱلْمُنكَرِ)

⭘و يدخل في المنكر كل ذنب و معصية متعلق بحق الله تعالى.

(وَٱلْبَغْيِ ۚ)

و يدخل في البغي :كل عدوان على الخلق في الدماء و الأموال و الأعراض.

*** سنن أبي داود

4902 عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ»

○فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات و المنهيات

لم يبق شيء إلا دخل فيها،

فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات،

فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى

فهي مما أمر الله به.

و كل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه.

و بها يعلم حسن ما أمر الله به و قبح ما نهى عنه،

و بها يعتبر ما عند الناس من الأقوال و ترد إليها سائر الأحوال،

فتبارك من جعل في كلامه الهدى و الشفاء و النور و الفرقان بين جميع الأشياء.

و لهذا قال: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ به

أي: بما بينه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم و نهيكم عما فيه مضرتكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

ما يعظكم به فتفهمونه و تعقلونه،

فإنكم إذا تذكرتموه و عقلتموه عملتم بمقتضاه فسعدتم سعادة لا شقاوة معها.

***عن ابْنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ:إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ النَّحْلِ:
{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} الْآيَةَ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ( )
❍فلما أمر بما هو واجب في أصل الشرع أمر بوفاء ما أوجبه العبد على نفسه فقال:

وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

(وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ)

و هذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات و النذور و الأيمان التي عقدها إذا كان الوفاء بها برا،

و يشمل أيضا ما تعاقد عليه هو و غيره كالعهود بين المتعاقدين،

و كالوعد الذي يعده العبد لغيره و يؤكده على نفسه،

فعليه في جميع ذلك الوفاء و تتميمها مع القدرة،

و لهذا نهى الله عن نقضها فقال:

تفسير الطبري (14/ 109) .

(وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا)

بعقدها على اسم الله تعالى:

(وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ)

أيها المتعاقدون

(كَفِيلًا ۚ)

*الميسر:ضامنًا حين عاهدتموه

ⵔفلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلا

فيكون ذلك ترك تعظيم الله و استهانة به،

و قد رضي الآخر منك باليمين و التوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلا.

فكما ائتمنك و أحسن ظنه فيك فَلْتَفِ له بما قلته و أكدته.

(إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)

يجازي كل عامل بعمله على حسب نيته و مقصده.

*** مسند أحمد ط الرسالة

5088 - عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ

جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَ أَهْلَهُ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللهِ وَ رَسُولِهِ،

وَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ:

هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ

وَ إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ أَنْ لَا يَكُونَ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ تَعَالَى،
أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللهِ وَ رَسُولِهِ،
ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ،
فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ،
وَ لَا يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَيَكُونَ صَيْلَمٌ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ

(وَلَا تَكُونُوا)

في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال و أقبحها و أدلها على سفه متعاطيها،

و ذلك (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ)

***الجزائري:هي حمقاء مكة**

و تدعى رَيْطَة بنت سعد بن تيم القرشية.

❍تغزل غزلا قويا فإذا استحكم و تم ما أريد منه نقضته فجعلته

(أَنكَٰثًا)

***الجزائري:جمع نكث وهو ما ينكث و يحل بعد الإبرام.**

❍فتعبت على الغزل ثم على النقض،

و لم تستفد سوى الخيبة و العناء و سفاهة العقل و نقص الرأي،

فكذلك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين و المروءة.

و قوله: (تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ)

***الميسر:تجعلون أيمانكم التي حلفتموها عند التعاهد خديعة لمن عاهدتموه،**

○أي:لا تنبغي هذه الحالة منكم تعقدون الأيمان المؤكدة و تنتظرون فيها الفرص:-

⬅فإذا كان العاقد لها ضعيفا غير قادر على الآخر أتمها لا لتعظيم العقد و اليمين بل لعجزه،

⬅و إن كان قويا يرى مصلحته الدنيوية في نقضها نقضها غير مبال بعهد الله و يمينه.

كل ذلك دورانا مع أهوية النفوس،

و تقديما لها على مراد الله منكم،

و على المروءة الإنسانية، و الأخلاق المرضية

(أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ)

لأجل أن تكون أمة أكثر عددا و قوة من الأخرى.

*الميسر:و تنقضون عهدكم إذا وجدتم جماعة أكثر مالا و منفعة من الذين عاهدتموهم،

(إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ)

و هذا ابتلاء من الله و امتحان يبتليكم الله به

حيث قيض من أسباب المحن ما يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقي.

(وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)

فيجازي كلا بما عمل، و يخزي الغادر.

*الميسر:و ليُبيِّنَنّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا من الإيمان بالله و نبوة محمد ﷺ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

أي: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ)

لجمع الناس على الهدى و جعلهم

(أُمَّةً وَاحِدَةً)

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} [يُونُسَ: 99] أَيْ: لَوَفَّقَ بَيْنَهُمْ. وَ لَمَا جَعَلَ اخْتِلَافًا وَ لَا تباغُضَ وَ لَا شَحْنَاءَ

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هُودٍ: 118، 119]

(وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ)

و لكنه تعالى المنفرد بالهداية و الإضلال،

و هدايته و إضلاله من أفعاله التابعة لعلمه و حكمته،

يعطي الهداية من يستحقها فضلا و يمنعها من لا يستحقها عدلا.

(وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

من خير و شر فيجازيكم عليها أتم الجزاء و أعدله.

*** ثُمَّ يَسْأَلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ،

فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا عَلَى الْفَتِيلِ وَ النَّقِيرِ و القطْمير.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ

هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ

ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ

أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ

يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ

عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ

يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖۙ

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾

أي: (وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ)

و عهودكم و مواثيقكم

(دَخَلَاۢ بَيۡنَكُمۡ)

تبعا لأهوائكم متى شئتم وفيتم بها، و متى شئتم نقضتموها

*** ثُمَّ حَذَّرَ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَيْمَانِ دَخَلًا أَيْ خَدِيعَةً وَ مَكْرًا،

(فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا)

⭘فإنكم إذا فعلتم ذلك تزل أقدامكم بعد ثبوتها على الصراط المستقيم،

***مَثَلٌ لِمَنْ كَانَ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ فَحَادَ عَنْهَا وَ زَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى،
بِسَبَبِ الْأَيْمَانِ الْحَانِثَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ،
لِأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا رَأَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ عَاهَدَهُ ثُمَّ غَدَرَ بِهِ،
لَمْ يَبْقَ لَهُ وُثُوقٌ بِالدِّينِ، فَانْصَدَّ بِسَبَبِهِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ (وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ)

أي: العذاب الذي يسوءكم و يحزنكم

(بِمَا صَدَدتُّمۡ)

حيث ضللتم و أضللتم غيركم

(وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

مضاعف.

وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾
مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ

يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً
طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

يحذر تعالى عباده من نقض العهود و الأيمان لأجل متاع الدنيا و حطامها

فقال: (وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ)

تنالونه بالنقض و عدم الوفاء

(إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ)

من الثواب العاجل و الآجل لمن آثر رضاه، و أوفى بما عاهد عليه الله

(هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)

من حطام الدنيا الزائلة

(إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)

فآثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الذي

(مَا عِندَكُمْ)

و لو كثر جدا لا بد أن

(يَنفَدُ ۖ)

و يفنى،

(وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ)

*****جَزَاءُ اللَّهِ وَ ثَوَابُهُ خَيْرٌ لِمَنْ رَجَاهُ وَ آمَنَ بِهِ وَ طَلَبَهُ، وَ حَفِظَ عَهْدَهُ**

رَجَاءَ مَوْعُودِهِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ}

❍ببقائه لا يفنى و لا يزول،

فليس بعاقل من آثر الفاني الخسيس على الباقي النفيس

و هذا كقوله تعالى:

(بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ)

و في هذا الحث و الترغيب على الزهد في الدنيا

خصوصا الزهد المتعين و هو الزهد فيما يكون ضررا على العبد

و يوجب له الاشتغال عما أوجب الله عليه و تقديمه على حق الله

فإن هذا الزهد واجب

و من الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا و شهواتها بخيرات الآخرة

فإنه يجد من الفرق و التفاوت ما يدعوه إلى إيثار أعلى الأمرين

و ليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات القاصرة كـــــــ:-

الصلاة و الصيام و الذكر و نحوها

بل لا يكون العبد زاهدا زهدا صحيحا حتى يقوم بما يقدر عليه مـــــــن:-

1-الأوامـــــــر الشرعية الظاهرة و الباطنة

2-و من الدعـــــــوة إلى الله و إلى دينه بالقول و الفعل

فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما لا ينفع في الدين و الدنيا

و الرغبة و السعي في كل ما ينفع .

(وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ)

على طاعة الله و عن معصيته

و فطموا نفوسهم عن الشهوات الدنيوية المضرة بدينهم

(أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة

فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا

و لهذا ذكر جزاء العاملين في الدنيا و الآخرة

فقال (مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ)

- فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة و قبولها
- بل لا تسمى أعمالا صالحة إلا بالإيمان
- و الإيمان مقتض لها
- فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات و المستحبات

فمن جمع بين الإيمان و العمل الصالح

(فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ)

- و ذلك بطمأنينة قلبه و سكون نفسه و عدم التفاته لما يشوش عليه قلبه

و يرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب

***وَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ

***صحيح مسلم

(1054)عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ
قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَ رُزِقَ كَفَافًا، وَ قَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»( )

***صحيح مسلم

(2808) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَ يُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ،
وَ أَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا،
حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»( )

(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ)

في الآخرة

***الميسر :و لنُثِيبنّ الذين تحمّلوا مشاق التكاليف – و منها الوفاء بالعهد-**

(أَجْرَهُم)

***الميسر:ثوابهم**

من أصناف اللذات مما لا عين رأت

و لا أذن سمعت

(كفافا) قال في النهاية الكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء
و يكون بقدر الحاجة إليه و هو نصب على الحال]

(إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة) معناه لا يترك مجازاته بشيء من حسناته
والظلم يطلق بمعنى النقص (أفضى إلى الآخرة) أي صار إليها]

14-م17-ص278

و لا خطر على قلب بشر

فيؤتيه الله في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة

(بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)

*الميسر:بأحسن أعمالهم، فنعطيهم على أدناها، كما نعطيهم على أعلاها تفضلًا.

فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

(فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ)

*الميسر:المطرود من رحمة الله

***هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ:
إِذَا أَرَادُوا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.
وَ هُوَ أمرُ ندبٍ لَيْسَ بِوَاجِبٍ،
حَكَى الْإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ.
وَ قَدْ قَدَّمْنَا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي الِاسْتِعَاذَةِ مَبْسُوطَةً فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.
وَ الْمَعْنَى فِي الِاسْتِعَاذَةِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ، لِئَلَّا يُلْبَسَ عَلَى الْقَارِئِ قِرَاءَتُهُ وَيُخْلَطَ عَلَيْهِ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ،

❍أي: فإذا أردت القراءة لكتاب الله الذي هو أشرف الكتب و أجلها

و فيه صلاح القلوب و العلوم الكثيرة

فإن الشيطان أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة،

فيسعى في صرفه عن مقاصدها و معانيها.

فالطريق إلى السلامة من شره الالتجاء إلى الله، و الاستعاذة به من شره،

فيقول القارئ: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »

1–متـــــدبرا لمعناها،

2–معتمــــــدا بقلبه على الله في صرفه عنه،

3–مجتهـــــدا في دفع وساوسه و أفكاره الرديئة

4–مجتهدا،على السبب الأقوى في دفعه،

[و هو التحلي بحلية الإيمـــــان و التـــــوكل]

(إِنَّهُۥ)

فإن الشيطان

(لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ)

أي: تسلط

***قَالَ الثَّوْرِيُّ: لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ أَنْ يُوقِعَهُمْ فِي ذَنْبٍ لَا يَتُوبُونَ مِنْهُ.

***وَ قَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ لَا حُجَّةَ لَهُ عَلَيْهِمْ.

***وَ قَالَ آخَرُونَ: كَقَوْلِهِ: {إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: 83]

(عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ)

وحده لا شريك له

(يَتَوَكَّلُونَ)

***الميسر:و على ربهم وحده يعتمدون**

⭘فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان

و لا يبق له عليهم سبيل.

(إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ)

أي: تسلطه

(عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ)

***يطيعونه

⭘أي: يجعلونه لهم وليا،

(وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ)

و ذلك بتخليهم عن ولاية الله،

و دخولهم في طاعة الشيطان، و انضمامهم لحزبه،

فهم الذين جعلوا له ولاية على أنفسهم،

فأزَّهم إلى المعاصي أزًّا وقادهم إلى النار قَوْدًا.

(بِهِۦ)

***وَ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ سَبَبِيَّةً، أَيْ: -

صَارُوا بِسَبَبِ طَاعَتِهِمْ لِلشَّيْطَانِ مُشْرِكِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

*** يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ضَعْفِ عُقُولِ الْمُشْرِكِينَ وَ قِلَّةِ ثَبَاتِهِمْ وَ إِيقَانِهِمْ،
وَ أَنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ مِنْهُمُ الْإِيمَانَ وَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاوَةَ،
وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا تَغْيِيرَ الْأَحْكَامِ نَاسِخِهَا بِمَنْسُوخِهَا
قَالُوا لِلرَّسُولِ: {إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ}

(وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ)

***وَ قَالَ مُجَاهِدٌ:أَيْ: رَفَعْنَاهَا وَ أَثْبَتْنَا غَيْرَهَا.
وَ قَالَ قَتَادَةُ:هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا} [الْبَقَرَةِ:106]

(وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ)

***الميسر:و الله الخالق أعلم بمصلحة خَلْقه بما ينزله من الأحكام في الأوقات المختلفة**

❍يذكر تعالى أن المكذبين بهذا القرآن يتتبعون ما يرونه حجة لهم،
و هو أن الله تعالى هو الحاكم الحكيم، الذي يشرع الأحكام،
و يبدل حكما مكان آخر لحكمته و رحمته،
فإذا رأوه كذلك قدحوا في الرسول و بما جاء به

و (قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢۚ)

*** كَذَّابٌ وَ إِنَّمَا هُوَ الرَّبُّ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ.

قال الله تعالى:

(بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

فهم جهال لا علم لهم بربهم و لا بشرعه،

و من المعلوم أن قدح الجاهل بلا علم لا عبرة به،

فإن القدح في الشيء فرع عن العلم به،

و ما يشتمل عليه مما يوجب المدح أو القدح.

و لهذا ذكر تعالى حكمته في ذلك فقال: (قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ)

و هو جبريل الرسول المقدس المنزه عن كل عيب و خيانة و آفة.

(مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ)

*** بِالصِّدْقِ وَ الْعَدْلِ

أي: نزوله بالحق و هو مشتمـــــل عـــــلى:-

الحق في أخبــــــاره و أوامـــــره و نـــــواهيه،

○فلا سبيل لأحد أن يقدح فيه قدحا صحيحا،

لأنه إذا عُلِم أنه الحق عُلِم أن ما عارضه و ناقضه باطل.

(لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

عند نزول آياته و تواردها عليهم وقتا بعد وقت،

○فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئا فشيئا حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي،

و أيضا فإنهم يعلمون أنه الحق،

○و إذا شرع حكما من الأحكام ثم نسخه علموا أنه أبدله بما هو مثله أو خير منه لهم

☼و أن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية و المناسبة العقلية.

(وَهُدًى)

أي: يهديهم إلى حقائق الأشياء

و يبين لهم الحق من الباطل و الهدى من الضلال،

(وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ)

و يبشرهم أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا.

و أيضا فإنه كلما نزل شيئا فشيئا، كان أعظم هداية و بشارة لهم مما لو أتاهم جملة واحدة و تفرق الفكر فيه

بل ينزل الله حكما و بشارة أكثر

فإذا فهموه و عقلوه و عرفوا المراد منه و ترووا منه أنزل نظيره و هكذا.

و لذلك بلغ الصحابة ﷺ به مبلغا عظيما، و تغيرت أخلاقهم و طبائعهم،

و انتقلوا إلى أخلاق و عوائد و أعمال فاقوا بها الأولين و الآخرين.

و كان أعلى و أولى لمن بعدهم أن يتربوا بعلومه و يتخلقوا بأخلاقه،

و يستضيئوا بنوره في ظلمات الغي و الجهالات
و يجعلوه إمامهم في جميع الحالات،
فبذلك تستقيم أمورهم الدينية و الدنيوية.

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ
أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا
يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ
أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾
لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾
ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ
إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ
أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا

يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

ابن جرير ج14 ص178 عن حصين هـــو

[ابن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسلم الحضرمي]

أنه كان لهم عبدان من أهل غير اليمن

و كانا طفلين و كانا يقال لأحدهما يسار و الآخر جبر

فكانا يقرآن التوراة و كان رسول الله ﷺ ربما جلس إليهما،

فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما،

فأنزل الله سبحانه وتعالى

{لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} .

(وَلَقَدْ نَعْلَمُ)

يخبر تعالى عن قيل المشركين المكذبين لرسوله

(أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ)

هذا الكتاب الذي جاء به

(بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ۖ)

و ذلك البشر الذي يشيرون إليه أعجمي اللسان

*الميسر:فإن لسان الذي نسبوا إليه تعليم النبي ﷺ أعجمي لا يُفصح

(وَهَٰذَا)

(لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)

هل هذا القول ممكن؟ أو له حظ من الاحتمال؟

و لكن الكاذب يكذب و لا يفكر فيما يؤول إليه كذبه،

فيكون في قوله من التناقض و الفساد ما يوجب رده بمجرد تصوره.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)

الدالة دلالة صريحة على الحق المبين فيردونها و لا يقبلونها،

***مِنَ الْكَفَرَةِ وَ الْمُلْحِدِينَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْكَذِبِ عِنْدَ النَّاسِ.
وَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ وَأَبَرَّهُمْ وَأَكْمَلَهُمْ عِلْمًا وَعَمَلًا وَإِيمَانًا وَإِيقَانًا، مَعْرُوفًا بِالصِّدْقِ فِي قَوْمِه،
لَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِحَيْثُ لَا يُدْعى بينهم إلا بالأمين محمد؛
و لهذا لما سَأَلَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ أَبَا سُفْيَانَ عَنْ تِلْكَ الْمَسَائِلِ
الَّتِي سَأَلَهَا مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺكَانَ فِيمَا قال له:-
أو كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟
قَالَ: لَا.
فَقَالَ: هِرَقْلُ فَمَا كَانَ لِيَدع الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَ يَذْهَبَ
فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.( )

(لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ)

البخاري 7

14-م18-ص279

حيث جاءهم الهدى فردوه فعوقبوا بحرمانه و خذلان الله لهم.

(وَلَهُمْ)

في الآخرة

(عَذَابٌ أَلِيمٌ)

(إِنَّمَا يَفْتَرِي)

* يختلق

(ٱلْكَذِبَ)

أي: إنما يصدر افتراه الكذب من

(ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)

كالمعاندين لرسوله من بعد ما جاءتهم البينات،

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ)

أي: الكذب منحصر فيهم و عليهم أولى بأن يطلق من غيرهم.

و أما محمد ﷺ المؤمن بآيات الله الخاضع لربه

فمحال أن يكذب على الله و يتقول عليه ما لم يقل،

فأعداؤه رموه بالكذب الذي هو وصفهم،

فأظهر الله خزيهم و بَيَّن فضائحهم، فله تعالى الحمد.

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن
مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾
لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾.

يخبر تعالى عن شناعة حال

(مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ
وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ)

○فعمى بعد ما أبصر و رجع إلى الضلال بعد ما اهتدى،

و شرح صدره بالكفر راضيا به مطمئنا أن لهم الغضب الشديد من الرب الرحيم الذي إذا غضب لم يقم لغضبه شيء و غضب عليهم كل شيء،

***فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِمَّنْ كَفَرَ بِلِسَانِهِ وَ وَافَقَ الْمُشْرِكِينَ بِلَفْظِهِ مُكْرَهًا لِمَا نَالَهُ مِنْ ضَرْبٍ وَ أَذًى، وَقَلْبُهُ يَأْبَى مَا يَقُولُ

(وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ)

وَ هُوَ مُطَمْئِنٌ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ.

وَ قَدْ رَوَى العَوفِيّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:
أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عمَّار بْنِ يَاسِرٍ،
حِينَ عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى يَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ،
فَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مُكرَها وَ جَاءَ مُعْتَذِرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ،
وَ هَكَذَا قَالَ الشَّعْبِيُّ، وَ أَبُو مَالِكٍ وَ قَتَادَةُ.
وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ
قَالَ: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَعَذَّبُوهُ حَتَّى قَارَبَهُمْ فِي بَعْضِ مَا أَرَادُوا،
فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
" كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ "
قَالَ: مُطَمْئِنًا بِالْإِيمَانِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ عَادُوا فَعُدْ" ( ) .
وَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِأَبْسَطَ مِنْ ذَلِكَ،
وَ فِيهِ أَنَّهُ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺوَ ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ،
وَ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُركتُ حَتَّى سَببتك وَ ذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ!
قَالَ: " كَيفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ "
قَالَ: مُطَمْئِنًا بِالْإِيمَانِ.
فَقَالَ: "إِنْ عَادُوا فَعُدْ".
وَ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ:{إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} (1) .
***وَ لِهَذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُوَالَى المكره عَلَى الْكُفْرِ،
إِبْقَاءً لِمُهْجَتِهِ، وَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسْتَقْتِلَ،
كَمَا كَانَ بِلَالٌ ﷺيَأْبَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَهُمْ يَفْعَلُونَ بِهِ الْأَفَاعِيلَ،
حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ عَلَى صَدْرِهِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ،

تفسير الطبري (14/ 122) .

وَ يَأْمُرُونَهُ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَيَأْبَى عَلَيْهِمْ وَ هُوَ يَقُولُ: أحَد، أحَد.
وَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ كَلِمَةً هِيَ أَغْيَظُ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا، ﷺو أَرْضَاهُ.
وَ كَذَلِكَ حَبِيبُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ لَمَّا قَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ:
أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟
فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟
فَيَقُولُ: لَا أَسْمَعُ. فَلَمْ يَزَلْ يُقَطِّعُهُ إِرْبًا إِرْبًا وَ هُوَ ثَابِتٌ عَلَى ذَلِكَ ( ) .

(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

أي: في غاية الشدة مع أنه دائم أبدا.

و (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ)

حيث ارتدوا على أدبـــــارهم :-

1-طمعـــــــا في شيء من حطام الدنيا و رغبة فيه

2-و زهـــــدا في خير الآخرة،

○(وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)

فلما اختاروا الكفر على الإيمان منعهم الله الهداية

فلم يهدهم لأن الكفر وصفهم،

(أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)

فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير،

انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (1/ 327) وأسد الغابة لابن الأثير (1/ 443) .

(وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ)

و على سمعهم و على أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم و يصل إلى قلوبهم.

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ)

فشملتهم الغفلة و أحاط بهم الخذلان،

و حرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء،

و ذلك أنها أتتهم فردوها، و عرضت عليهم فلم يقبلوها.

(لَا جَرَمَ)

* حقًا

(أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ)

الذين خسروا أنفسهم و أموالهم و أهليهم يوم القيامة

و فاتهم النعيم المقيم و حصلوا على العذاب الأليم.

و هذا بخلاف من أكره على الكفر و أجبر عليه، و قلبه مطمئن بالإيمان؛

راغب فيه فإنه لا حرج عليه و لا إثم،

و يجوز له النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها.

<u>و دل ذلك على أن:—</u>

❍ كلام المكره على الطلاق أو العتاق أو البيع أو الشراء أو سائر العقود أنه لا عبرة به، و لا يترتب عليه حكم شرعي،

لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر إذا أكره عليها

فغيرها من باب أولى و أحرى.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

ابن جرير ج184 عن ابن عباس قال: -

كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام،

فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم،

فأصيب بعضهم و قتل بعض،

فقال المسلمون:

كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم

فنزلت{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}

إلى آخر الآية.

قال:و كتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم

قال:فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة

فنزلت هذه الآية{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}إلى آخر الآية.

فكتب المسلمون إليهم بذلك فخرجوا و أيسوا من كل خير

ثم نزلت فيهم{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}

فكتبوا إليهم بذلك إن الله قد جعل لكم مخرجا،

14-م18-ص279

فخرجوا فأدركهم المشركون
فقاتلوهم ثم نجا من نجا و قتل من قتل.

○أي: ثم إن ربك الذي ربى عباده المخلصين بلطفه و إحسانه لغفور رحيم لمن هاجر في سبيله، و خلى دياره وأمواله طلبا لمرضاة الله،
و فتن على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان،
و تخلص ما معه من اليقين،
ثم جاهد أعداء الله ليدخلهم في دين الله بلسانه و يده،
و صبر على هذه العبادات الشاقة على أكثر الناس.
فهذه أكبر الأسباب التي تنال بها أعظم العطايا و أفضل المواهب،
و هي مغفرة الله للذنوب صغارها و كبارها المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه،
و رحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم و استقامت أمور دينهم و دنياهم،
فلهم الرحمة من الله في يوم القيامة حين:

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا
تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾

(يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ)

*** **تُحَاجُّ**

(عَن نَّفۡسِهَا)

*** لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاجُّ عَنْهَا لَا أَبٌ وَ لَا ابْنٌ وَ لَا أَخٌ وَ لَا زَوْجَةٌ

❍ كلٌّ يقول نفسي نفسي لا يهمه سوى نفسه،

ففي ذلك اليوم يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرة من الخير.

(وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ)

من خير و شر

(وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ)

فلا يزاد في سيئاتهم و لا ينقص من حسناتهم

{فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [يس: 54]

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ

فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ

﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

(وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ)

و هذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت

(ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ)

لا يهاج فيها أحد، و تحترمها الجاهلية الجهلاء

حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه و أخيه،

فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، و النعرة العربية

فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها

** كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا} [القصص: 57]

(يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا)

*** هنيئها سَهْلًا

(مِّن كُلِّ مَكَانٍ)

و كذلك الرزق الواسع.

كانت بلدة ليس فيها زرع و لا شجر،

و لكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان،

فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته و صدقه،

يدعوهم إلى أكمل الأمور،

و ينهاهم عن الأمور السيئة،

(فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ)

فكذبوه و كفروا بنعمة الله عليهم،

***جَحَدَتْ آلَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا وَ أَعْظَمُ ذَلِكَ بِعْثَةُ مُحَمَّدٍ ﷺإِلَيْهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} [إِبْرَاهِيمَ: 28، 29]

(فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ)

فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه،و ألبسهم

(لِبَاسَ ٱلْجُوعِ)

الذي هو ضد الرغد،

***أَلْبَسَهَا وَ أَذَاقَهَا الْجُوعَ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُجبى إِلَيْهِمْ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ،
وَ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ،
وَ ذَلِكَ لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَ أَبَوْا إِلَّا خِلَافَهُ،
فَدَعَا عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ،
فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ أَذْهَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ،
فَأَكَلُوا العِلْهِز -وَ هُوَ: وَبَرُ الْبَعِيرِ، يُجْعَلُ بِدَمِهِ إِذَا نَحَرُوهُ.

(وَٱلْخَوْفِ)

الذي هو ضد الأمن،

***وَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ بُدِّلوا بِأَمْنِهِمْ خَوْفًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوأ صحابه،
حِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، مِنْ سَطْوَةِ سَرَايَاهُ و جُيوشه،
وَ جَعَلُوا كُلَّ مَا لَهُمْ فِي سَفَال وَ دَمَارٍ،
حَتَّى فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ

(بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ)

و ذلك بسبب صنيعهم و كفرهم و عدم شكرهم

(وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)
وَ ذَلِكَ بِسَبَبِ صَنِيعِهِمْ وَ بَغْيِهِمْ وَ تَكْذِيبِهِمُ الرَّسُولَ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ فِيهِمْ مِنْهُمْ،
وَ امْتَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ:
{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ}
[آلِ عِمْرَانَ: 164]
وَ قَالَ تَعَالَى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الألْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الطَّلَاقِ: 10، 11] الْآيَةَ
وَ قَوْلِهِ:{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}إِلَى قَوْلِهِ:{وَلا تَكْفُرُونِ}[الْبَقَرَةِ: 151، 152].
***وَ كَمَّا أَنَّهُ انْعَكَسَ عَلَى الْكَافِرِينَ حَالُهُمْ،
فَخَافُوا بَعْدَ الْأَمْنِ،
وَ جَاعُوا بَعْدَ الرَّغَدِ،
بَدَّل اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا،
وَ رَزَقَهُمْ بَعْدَ العَيْلَةِ،
وَ جَعَلَهُمْ أُمَرَاءَ النَّاسِ وَ حُكَّامَهُمْ، وَ سَادَتَهُمْ وَ قَادَتَهُمْ وَ أَئِمَّتَهُمْ.

(وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ)

*الميسر:و لقد أرسل الله إلى أهل «مكة» رسولا

(مِّنْهُمْ)

هو النبي محمد ﷺ، يعرفون نسبه و صدقه و أمانته،

(فَكَذَّبُوهُ)

فلم يقبلوا ما جاءهم به، و لم يصدقوه،

(فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ)

من الشدائد و الجوع و الخوف، و قَتْل عظمائهم في «بدر»

(وَهُمْ ظَٰلِمُونَ)

***الميسر:لأنفسهم بالشرك بالله، و الصدِّ عن سبيله.**

فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾

(فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ)

يأمر تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله مــــــن:-

الحيوانات و الحبوب و الثمار و غيرها.

(حَلَٰلًا طَيِّبًا)

أي: حالة كونها متصفة بهذين الوصفين

بحيث لا تكون مما حرم الله أو أثرا عن غصب و نحوه.

فتمتعوا بما خلق الله لكم من غير إسراف و لا تَعَدٍّ.

(وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ)

بالاعتراف بها بالقلب و الثناء على الله بها و صرفها في طاعة الله.

(إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ)

أي إن كنتم مخلصين له العبادة، فلا تشكروا إلا إياه، و لا تنسوا المنعم.

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ)

الأشياء المضرة تنزيها لكم،

و ذلك: كـــــــــ(ٱلۡمَيۡتَةَ)

و يدخل في ذلك كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة،

و يستثنى من ذلك ميتة الجراد و السمك.

(وَٱلدَّمَ)

المسفوح و أما ما يبقى في العروق و اللحم فلا يضر.

(وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ)

لقذارته و خبثه و ذلك شامل للحمه و شحمه و جميع أجزائه.

(وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ)

كالذي يذبح للأصنام و القبور و نحوها لأنه مقصود به الشرك.

(فَمَنِ ٱضۡطُرَّ)

إلى شيء من المحرمات –بأن حملته الضرورة و خاف إن لم يأكل أن يهلك– فلا جناح عليه إذا لم يكن باغيا أو عاديا،

(غَيْرَ بَاغٍ)

أي: إذا لم يرد أكل المحرم و هو غير مضطر،

(وَلَا عَادٍ)

و لا متعد الحلال إلى الحرام،

أو متجاوز لما زاد على قدر الضرورة،

فهذا الذي حرمه الله من المباحات.

(فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ)

له

(رَّحِيمٌ)

به لا يعاقبه على ما فعل.

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

(وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ)

أي:لا تحرموا و تحللوا من تلقاء أنفسكم،

(لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ)

كذبا و افتراء على الله و تقولا عليه

***وَ يَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ مَـــــــــنِ:-

1-ابْتَـــــدَعَ بِدْعَةً لَيْسَ لَهُ فِيهَا مُسْتَنَدٌ شَرْعِيٌّ،

2-أَوْ حَــــلَّلَ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ،

3-أَوْ حَــــرَّمَ شَيْئًا مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ، بِمُجَرَّدِ رَأْيِهِ و تشهِّيه.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ)

لا في الدنيا و لا في الآخرة،

و لا بد أن يظهر الله خزيهم و إن تمتعوا في الدنيا

(مَتَٰعٞ قَلِيلٞ)

و مصيرهم إلى النار

***فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ.

أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَمَتَاعٌ قَلِيلٌ

***وَ أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ،

(وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ)

*** كَمَا قَالَ:{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان: 24]

فالله تعالى ما حرم علينا إلا الخبيثات تفضلا منه،و صيانة عن كل مستقذر.

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ

وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾

(وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ)

و أما الذين هادوا فحرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بسبـــــــب:-

ظلمهم عقـــــوبة لهـــــم

كما قصه في سورة الأنعام في قوله:

{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الأنعام: 146]

(وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ)

*الميسر:بتحريم ذلك عليهم

(وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ)

الميسر:و لكن كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر و البغي، فاستحقوا التحريم عقوبة لهم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ
رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى
ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ
سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا
عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾
إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟
إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ)

و هذا حض منه لعباده على التوبة، و دعوة لهم إلى الإنابة،

فأخبر أن من عمل سوءا بجهالة بعاقبة ما تجني عليه،

و لو كان متعمدا للذنب،

فإنه لا بد أن ينقص ما في قلبه من العلم وقت مفارقة الذنب.

***قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ.

***الميسر:ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم**

لعاقبتها و إيجابها لسخط الله -

فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا

فهو جاهل بهذا الاعتبار و إن كان عالمًا بالتحريم-

(ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓا۟)

فإذا تاب و أصلح بأن ترك الذنب و ندم عليه و أصلح أعماله،

(إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ)

فإن الله يغفر له و يرحمه و يتقبل توبته و يعيده إلى حالته الأولى أو أعلى منها.

إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠

شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١

وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢

يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه السلام،

و خصه به من الفضائل العالية و المناقب الكاملة فقـــــال:

(إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ)

أي: إماما جامعا لخصال الخير هاديا مهتديا.

***الامة:الْإِمَامُ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ.

(قَانِتًا لِّلَّهِ)

أي: مديما لطاعة ربه مخلصا له الدين،

***هُوَ الْخَاشِعُ الْمُطِيعُ.

(حَنِيفًا)

مقبلا على الله بالمحبة، و الإنابة و العبودية معرضا عمن سواه.

***الْمُنْحَرِفُ قَصْدًا عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ؛

(وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

في قوله و عمله، و جميع أحواله لأنه إمام الموحدين الحنفاء.

*** قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي الْعُبَيْدَيْنِ:
أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنِ الْأُمَّةِ الْقَانِتِ
فَقَالَ: الْأُمَّةُ:
مُعَلِّـــــــمُ الْخَيْرِ،
وَ الْقَانِتُ:
الْمُطِيـــــعُ لِلَّهِ وَ رسُولِهِ.

(شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ)

أي: آتاه الله في الدنيا حسنة،

و أنعم عليه بنعم ظاهرة و باطنة،فقـــــام بشكرها،

*** كَمَا قَالَ: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النَّجْمِ: 37]

أَيْ: قَامَ بِجَمِيعِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ.

❍فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن

(ٱجۡتَبَىٰهُ)

ربه و اختصه بخُلته و جعله من صفوة خلقه، و خيار عباده المقربين.

*** كَمَا قَالَ:{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ}

[الْأَنْبِيَاءِ: 51]

(وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)

في علمه و عمله

فعلم بالحق و آثره على غيره.

***وَ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَلَى شَرْعٍ مَرْضِيٍّ.

(وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ)

*** لسان صدق.

❍رزقا واسعا، و زوجة حسناء، و ذرية صالحين، و أخلاقا مرضي

***جَمَعْنَا لَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا مِنْ جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ الْمُؤْمِنُ إِلَيْهِ فِي إِكْمَالِ حَيَاتِهِ الطَّيِّبَةِ

(وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)

الذين لهم المنازل العالية و القرب العظيم من الله تعالى.

ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾

و من أعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق و أكملهم أن يتبع ملة إبراهيم، و يقتدي به هو و أمته.

*** كَمَا قَالَ:فِي"الْأَنْعَامِ":{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[الْأَنْعَامِ: 161]

*** ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْيَهُودِ:-

إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

يقول تعالى:(إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ)

أي: فرضا

(عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ)

حين ضلوا عن يوم الجمعة و هم اليهود

فصار اختلافهم سببا لأن يجب عليهم في السبت احترامه و تعظيمه،

و إلا فالفضيلة الحقيقية ليوم الجمعة الذي هدى الله هذه الأمة إليه.

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

فيبين لهم المحق من المبطل و المستحق للثواب ممن استحق العقاب .

*** صحيح البخاري

876 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:

«نَحْنُ الآخرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ،
بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا،
ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ،
فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ،
فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ اليَهُودُ غَدًا، وَ النَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»( )

***صحيح مسلم

(855)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«نَحْنُ الْآخِرُونَ، وَ نَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا،
وَ أُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ،
ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْنَا، هَدَانَا اللهُ لَهُ،
فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا، وَ النَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»( )

ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥

(ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ)

(الآخرون) زمانا. (السابقون) منزلة وفضلا. (بيد) غير.

(يومهم) الذي فرض عليهم تعظيمه والاجتماع فيه. (لنا فيه تبع) يأتون من ورائنا كالخدم

(بيد أن) قال أبو عبيد لفظة بيد تكون بمعنى (غير) و بمعنى (على) و بمعنى (من أجل) و كله صحيح هنا

أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم و كافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع و العمل الصالح

(بِٱلۡحِكۡمَةِ)

أي: كل أحد على حسب حاله و فهمه و قوله و انقياده.

و مـــــن الحكمـــــــة :-

1-الـــــدعوة بالعلم لا بالجهل

2-و البـــــداءة بالأهم فالأهم، و بالأقرب إلى الأذهان و الفهم

3-و بمـــــا يكون قبوله أتم،

4-و بالـــــرفق و اللين،

5-فإن انقاد بالحكمة، و إلا فينتقل معه بالدعوة

(وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ)

و هو الأمـــــر و النهي المقرون بالترغيـــــب و الترهيـــــب إمـــــا:-

1-بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح و تعدادها،

و النواهي من المضار و تعدادها،

2-و إما بذكر إكرام من قام بدين الله و إهانة من لم يقم به.

3-و إما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل

و ما أعد للعاصين من العقاب العاجل و الآجل،

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق.أو كان داعيه إلى الباطل،

فيجادل بالتي هي أحســــــــن:-

1-و هي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا و نقلا.

و من ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها،

فإنه أقرب إلى حصول المقصود،

2-و أن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها،

و لا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق

لا المغالبة و نحوها.

(وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ)

*****مَنِ احْتَاجَ مِنْهُمْ إِلَى مُنَاظَرَةٍ وَ جِدَالٍ،**
فَلْيَكُنْ بِالْوَجْهِ الْحَسَنِ بِرِفْقٍ وَ لِينٍ وَ حُسْنِ خِطَابٍ، كَمَا قَالَ:
{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}
[الْعَنْكَبُوتِ: 46]
فَأَمَرَهُ تَعَالَى بِلِينِ الْجَانِبِ، كَمَا أَمَرَ مُوسَى وَ هَارُونَ،عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،
حِينَ بَعَثَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ
فَقَالَ:{فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[طه: 44].

و قوله:(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ)

علم السبب الذي أداه إلى الضلال،

و علم أعماله المترتبة على ضلالته و سيجازيه عليها.

(وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ)

علم أنهم يصلحون للهداية فهداهم ثم منَّ عليهم فاجتباهم.

***قدم عَلِمَ الشَّقِيَّ مِنْهُمْ وَ السَّعِيدَ،

وَ كَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَ فَرَغَ مِنْهُ،

فَادْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ،

وَ لَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَى مَنْ ضَلَّ مِنْهُمْ حَسَرَاتٍ،

فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ، عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ،

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [الْقَصَصِ: 56]

وَ {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ} [الْبَقَرَةِ: 272] .

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾

وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا

يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

يقول تعالى – مبيحا للعدل و نادبا للفضل و الإحسان–

(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ)

من أساء إليكم بالقول و الفعل

(فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ)

من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم.

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

سنن الترمذي ت شاكر

3129 - عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، قَالَ:

حَدّثَني أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ:
لَمّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّون رَجُلًا،
وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتّةٌ مِنْهُمْ حَمْزَةُ،
فَمَثّلُوا بِهِمْ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ:
لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنّ عَلَيْهِمْ قَالَ:
فَلَمّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكّةَ،
فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل126]
فَقَالَ رَجُلٌ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ إِلّا أَرْبَعَةً».
***مسند أحمد مخرجا
21229عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ:
لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَ سِتُّونَ رَجُلًا،
وَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ،
فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:
لَئِنْ كَانَ لَنَا يَوْمٌ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ،
فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ قَالَ رَجُلٌ لَا يُعْرَفُ:
لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ،
فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَمِنَ الْأَسْوَدُ وَ الْأَبْيَضُ إِلَّا فُلَانًا وَ فُلَانًا، نَاسًا سَمَّاهُمْ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}[النحل: 126]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَصْبِرُ وَ لَا نُعَاقِبُ»
***وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ لَهَا أَمْثَالٌ فِي الْقُرْآنِ،
فَإِنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْعَدْلِ وَ النَّدْبِ إِلَى الْفَضْلِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ:
{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}
ثُمَّ قَالَ {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}[الشُّورَى: 40]
وَ قَالَ{وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}ثُمَّ قَالَ
{فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ}[الْمَائِدَةِ: 45]

(وَلَئِن صَبَرْتُمْ)

عن المعاقبة و عفوتم عن جرمهم

(لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ)

من الاستيفاء و ما عند الله خير لكم و أحسن عاقبة كما قال تعالى:

(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) [الشُّورَى: 40]

ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله

و الاستعانة بالله على ذلك

و عدم الاتكال على النفس

فقال: (وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ)

هو الذي يعينك عليه و يثبتك.

(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ)

إذا دعوتهم فلم تر منهم قبولا لدعوتك،

فإن الحزن لا يجدي عليك شيئا.

(وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ)

أي: شدة و حرج

(مِّمَّا يَمْكُرُونَ)

فإن مكرهم عائد إليهم

***مِمَّا يُجْهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي عَدَاوَتِكَ وَ إِيصَالِ الشَّرِّ إِلَيْكَ،
فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَ نَاصِرُكَ، وَ مُؤَيِّدُكَ، وَ مُظْهِرُكَ وَ مُظْفِرُكَ بِهِمْ.

(إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟)

و أنت من المتقين المحسنين.

***مَعَهُمْ بِتَأْيِيدِهِ وَ نَصْرِهِ وَ مَعُونَتِهِ وَ هَذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، كَقَوْلِهِ:

{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا}[الْأَنْفَالِ: 12]

وَ قَوْلِهِ لِمُوسَى وَ لِهَارُونَ: {لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[طه: 46]

وَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلصِّدِّيقِ وَ هُمَا فِي الْغَارِ: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}[التَّوْبَةِ: 40]

***وَ أَمَّا الْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ فَبِالسَّمْعِ وَ الْبَصَرِ وَ الْعِلْمِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[الْحَدِيدِ: 4] وَ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [الْمُجَادَلَةِ: 7]

وَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يُونُسَ: 61]

(ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ)

***تَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ،

(وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ)

***فَعَلُوا الطَّاعَاتِ، فَهَؤُلَاءِ اللَّهُ يَحْفَظُهُمْ وَ يَكْلَؤُهُمْ،
وَ يَنْصُرُهُمْ وَ يُؤَيِّدُهُمْ، وَ يُظْفِرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَ مُخَالِفِيهِمْ.

❍و الله مع المتقين المحسنين، بعونه و توفيقه و تسديده،

و هم الذين اتقوا الكفر و المعاصي،

و أحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله كأنهم يرونه

فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم

و الإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه.

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المحسنين.

تم تفسير سورة النحل و الحمد لله.